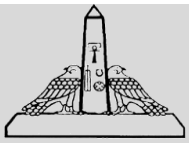
جامعة عين شمس

حوليات آداب عين شمس (عدد خاص ٢٠١٧)
www.aafu.journals.ekb.eg//:http
(دورية علمية محكمة)

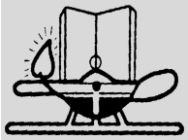
كلية الآداب

الدور السياسي للمرأة في السيرة الهلالية

محمد محمد سليمان*

قسم اللغة العربية وآدابها

المستخلص

صورت السيرة الهلالية المرأة بوصفها سياسية بارعة وعرضت ذلك الدور بأبرع ما يكون العرض والتصوير. ففي مجال السياسة شاركت المرأة في الوفود السياسية، ولعبت دوراً هاماً في الوساطة السياسية والإصلاح بين المتخاصمين. كما كانت ذات رأي ثاقب حصيف وتدبير سياسي محكم، ومشورة نافذة حكيمة حتى إن الجازية وشيحة كان لهما ثلثي المشورة. وكان لها آراء هامة ذات خطر في تقييم المعارك والأبطال. علاوة على مواقفها السياسية حيث بدت ثائرة في بعض الأحيان تثور على المتخاذلين والمتقاعسين عن القتال وتوبخهم وتهدد بخروج النساء للمعارك ؛ لتثير نخوة الرجال وتحرك كوامن الرجولة في نفوسهم وتستنفرهم للاستبسال في القتال. كما كانت تخرج في عمليات الاستطلاع والتجسس لصالح قومها لمعرفة مواطن القوة ونقاط الضعف في العدو وفي أحيان أخرى تشارك في الحيل السياسية والخدع الحربية. كما تناولت السيرة النزعة القومية لدى المرأة ومدى ولائها وانتمائها لقومها وأثر ذلك على مصير قبيلتها.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

صورت السيرة الهلالية المرأة بوصفها ساسية محنكة وعرضت ذلك الدور بأبرع ما يكون العرض والتصوير. ففي مجال السياسة شاركت المرأة في الوفود السياسية، ولعبت دوراً هاماً في الوساطة للإصلاح بين المتخاصمين. وكان لها آراء هامة في تقييم المعارك والأبطال. كما كانت صاحبة رأي ثاقب ومشورة وتدبير سياسي محكم. علاوة على مواقفها السياسية حيث بدت ثائرة في بعض الأحيان، أو جاسوسة تتجسس لصالح قومها في أحيان أخرى، وتشارك في الحيل السياسية والخدع الحربية، كما تناولت السيرة النزعة القومية لدى المرأة ومدى ولائها وانتمائها لقومها وأثر ذلك على مصير قبيلتها.

ومن مظاهر مشاركة المرأة في الحياة السياسية، انضمام بعض النساء للوفود السياسية. فحين أوفد بنو سليم وفداً ليشكو إلى (هلال) جرائم ابنه المنذر وأفعاله المشينة من نهب واعتداء. ضم ذلك الوفد بعض النساء، يقول الراوي :

وجاء الأمير نصار وقومه ومعهم حريم لابسات قناع
وقال إن المنذر دهانا بشره نهب خيلنا وحريمنا ومتاع [١]

ويحكى أن (بركات) أمر بني هلال بالرحيل عن بلاد الزحلان – التي لجأوا إليها وقت الجدب – فأمرهم أن يتركوها ويعودوا لبلادهم يقاسون بها الجدب والجوع وعلى مبدأ (الخضوع سياسة) جمع الأمير (حازم) الرجال والنساء وخرجوا جميعاً حفاة في مسيرة استسلام واتجهوا إلى بركات يستجدونه كي يصفح عنهم.

يقول الراوي عن (بركات) : " ثم طوى الكتاب وأعطاه إلى أحد العبيد فأوصله إلى سرحان فلما قرأه قال أبوه حازم لنذهب لعنده حفاة نساء ورجال فيعفو عنا فسار نحو مائة رجل ومائة فتاة لعند أبو زيد فلما رآهم استقبلهم وترحب بهم وصافحهم وعفا عنهم وأحضر لهم الولائم وبقى العربان عرباً واحداً " [٢]

ويرى الدكتور أحمد شمس الدين الحجاجي أن الهلاليين قصدوا بذلك التصرف أن يفعلوا شيئاً يُزيل الجرح الدامي في قلب أبي زيد مما فعله بأمه. [٣]

وفي رواية أخرى، يصور الراوي حال قوم (شبيب والصحصاح) ــ أعداء بني هلال – حين قتل أميرهما ورجحت عليهم كفة بني هلال في الحرب. فلم يجدوا أمامهم سوى الخضوع والاستسلام فخرجوا في مسيرة خضوع شاركت فيها النساء. يقول الراوي : " فعند ذلك خرج الأمراء والأعيان وابنه في جماعة من النساء وطلبوا من الأمير حسن العفو والأمان فتوقف القتال وخرج بنو هلال وأقاموا في الخيام وبلغوا المرام وزالت الأوهام " [٤]

وكما شاركت المرأة في الوفود السياسية قامت أيضاً بدور بارزٍ ومهم في الوساطة السياسية والسعي لإبرام الصلح بين المتخاصمين.

فتلك (ريمة) ابنة عم السلطان (حسن الهلالي) وزوجة القاضي (بدير بن فايد) يكلفها زوجها، وهو قاضي البلاد. بالتدخل للإصلاح بين (حسن الهلالي) و(دياب بن غانم) لأنه يعلم قدرها عند حسن، وأن وساطتها مقبولة عنده، ومن ثم فهي أقدر الناس على إبرام ذلك الصلح.

يقول الراوي عن دياب وأخيه بدر : "ومازالوا سائرين إلى أن دخلوا إلى القاضي بدير بن فايد فلما دخلوا عليه تلقاهم وأجلسهم ثم قالوا له يا خال صالحنا مع السلطان فقال لهم والله ما يصلح بينكم وبين السلطان إلا ريمة بنت عم السلطان وهي زوجتي فأنا أعلم أن سيقها مقبول فساروا إلى صيوان ريمة بنت شادب " [٥] ، وبالفعل تنجح (ريمة) في إبرام الصلح بين حسن ودياب.

ويشير (شوقي عبد الحكيم) في دراسته عن الهلالية إلى الدور البارز الذي لعبته النساء في الوساطة بين حسن ودياب وقد نجحن في مهمتهن خير نجاح يقول :
" أما دياب فحاول جاهداً التوسط [٦] لفك السلطان أسره دون جدوى... إلى أن تشفع له أبو زيد لدى السلطان وساعدته نساء بني هلال في الإفراج عنه " [٧]

وكان للمرأة آراء سياسية في تقييم الأحداث والمعارك وأداء الفرسان. ومن ذلك قول الجازية وهي تقيم معركة (توزر) وأداء الفرسان فيها مخاطبة أخاها حسن قائلة : " انهزم بنو غانم يا مولاي يا الله كم من امرأة تلطم لأجلكم خدودها والله إذا استثنينا عماراً وعامراً فإنكم للفرسان زينة وما كنا قبل اليوم نعد غاراتكم " [٨]

هكذا حكت (الجازية) لأخيها (حسن الهلالي) سلطان بني هلال عما حدث لهم في معركة (توزر) وكيف لحقتهم الهزيمة بسبب قوة البربر وتخاذل فرسان الهلالية الذين وصفتهم (الجازية) بأنهم (زينة) باستثناء (عمار وعامر) اللذين أبليا بلاءً حسناً في تلك المعركة.

وسمع أبو زيد ذلك التقييم من الجازية فملكه الغيظ وحسد الخواجة عامر على مدح الجازية له، وتراشق معه بالكلام حتى غضب الخواجة عامر وعزم على الرحيل. وهنا تلعب (الجازية) دوراً إيجابياً حين أرسلت خلف الخواجة عامر تعيده إلى صفوف بني هلال حفاظاً على كيان الجيش وحرصاً على الاستفادة من بطولة الخواجة عامر وشجاعته. وبذلك حفظت (الجازية) لميزان القوة توازنه في المعسكر الهلالي بفضل حنكتها وخبرتها السياسية.

يقول الراوي عن (الخواجة عامر) : " وهمز فرسه وولى عائداً إلى وطنه وأرسلت الجازية إثره جماعة أرجعوه بعد أن ألحوا عليه إلحاحاً شديداً " [٩]

وكان للجازية موقف معاد لأبي زيد الهلالي حين زوج ابنته (ضية) للعلام – وزير الزناتي – حيث اعتبرت ذلك التصرف موالاة من أبي زيد للأعداء. وعدته خائناً وألحت على القوم في أن يرسلوا في طلب دياب ليقتل الزناتي. يصوغ الراوي رأي الجازية هذا في عبارة بليغة، يقول : " فقالت الجازية : بوزيد خائن وذياب معزب. ائتو بذياب " [١٠]

وتتبدى حنكة الجازية ومهارتها السياسية وبُعد نظرها في موقفها من دياب بن غانم بعد أن قتل أخاها واستولى على حكم تونس. فقد هربت بالأيتام من أبناء الأمراء. وربتهم على الفروسية ودربتهم على القتال. ثم عملت على استقطاب حلفاء لها ممن يكرهون دياباً. ومن هؤلاء أمير يُدعى (طوى بن مالك) الذي أرسل لها رسالة يحثها فيها على الإسراع لحرب دياب ويطمئنها أن دياباً قد كبرت سنه وضعف عن القتال وبذلك أصبحت الفرصة سانحة لها وللأيتام لأخذ الثأر. لكن الجازية ذات العقل الراجح والتدبير السياسي العميق كانت بعيدة النظر حين رأت أن دياباً لن يقف مكتوف اليدين إزاء تدبيرهم وأنه حتماً سيعلم بتحالفهم لذا أرسلت إلى طوى تحذره من دياب وغدره.

يقول الراوي : " ثم كتبت مكتوباً إلى طوى بن مالك تقول له : خذوا حذركم ونهار غد العيد، إذا حضرتم لعند دياب فالبسوا دروعكم وأسلحتكم تحت ثيابكم، ونحن نصل لعندكم يوم العيد. وانقسموا فرقتين : النصف يجلسوا على المائدة والنصف يكونون راكبين خيولهم. فسار الرسول إلى طوى بن مالك فقرأ الرسالة وقال نعم إن بني زغبى أخذوا الخبر عن اجتماعاتنا وأوصلوه إلى دياب " [١١]

هكذا بدت الجازية في رسالتها إلى طوى سياسية ماهرة وصاحبة رأي وتدبير حربي محكم. فهي قد أمنت الرجال من غدر دياب فنصحتهم بارتداء الدروع تحت الثياب

ثم نصحتهم بتقسيم أنفسهم حتى يحرس النصفُ النصفَ الآخر الذي يجلس على موائد الطعام خوفاً من مباغتة دياب وغدره بهم.

ثم إن اختيارها ليوم الهجوم اختيار موفق فقد اختارت يوماً لا يتوقع فيه القتال وهو يوم (العيد). كل ذلك التدبير المحكم من (الجازية) رجح كفتها وكفة الأيتام الذين هزموا دياباً. وتمكن (بريقع بن أبي زيد) من قتله والثأر لأبيه. وقد تم للأيتام النصر بفضل تدبير الجازية وحنكتها السياسية.

وكما يُقال: (لا يفل الحديد إلا الحديد) فإن (فتنة) ابنة القاضي بدير تقول إن الأبطال لا يقهرهم سوى فارس شديد شريف الأصل. يقول الراوي – على لسان (فتنة) :

فما يقهر الأبطال إلا صميدع أمير ابن أمير ابن ماجد وفضيل [١٢]

ويُعد امتداح المرأة للفرسان أو انتقادها لهم وانتقاصها من قدرهم حين يتخاذلون عن القتال، يُعد هذا وذاك ضرباً من إبداء الرأي في مضمار السياسة، فها هي (الجازية) تمتدح فرسان بني هلال. تقول :

وما أحسن زيدان هو بن زايد مشاويرهم في الخيل زادت مديدها [١٣]

في حين تزدرى (سعدى) تخاذل العلام عن القتال، تقول :

لو كان في العلام نخوة ندهت له بجمع فرسان صباية وشباب
يقرع بها زغبة ويرد أميره دياب الشجيع الفارس المنهاب
إلا رأيته بالحصان مروح وهازم من الوقعة وهو مرتاب
وخيل زناتة تابعين لركبته ولابد ما خشوا وقفلوا الباب [١٤]

هكذا مدحت الجازية فرسان قومها في حين ذمت سعدة فرسان زناتة الفارين خوفاً من بني هلال. مما يؤكد أن المرأة كانت صاحبة رأي في تقييم المعارك والفرسان، بوصفها سياسية محنكة.

وهذه (شيحة) حين ترى بطولة أخيها (بركات) تقيم أداءه في النزال وتمتدح بطولته. يقول الدكتور أحمد شمس الدين الحجاجي في وصف النزال الدائر بين (بركات) وأبيه (رزق بن نايل) : " وتحاربوا ثلاثة أيام حتى إن شيحة تعجبت من الطفل البطل.

وشيحة قالت يا هل ترى
والله حربه يا بوي ما جرى
جايلك يا أمير في الوغى [١٥]

ولقد كان الفرسان يعملون ألف حساب لرأي النساء ويخشون انتقاداتهن لهم إن هم تقاعسوا أو تخاذلوا عن القتال حتى إن أبا زيد الهلالي وصف زمانه بأنه : (زمن النساء). يقول (شوقي عبد الحكيم) : " إلا أن السركسى كما تصفه السيرة كان أفرس زمانه وكانت تضرب به الأمثال وتهابه الفرسان. لذا سجلت السيرة اندحار أبو زيد أمامه وعودته منسحباً مكوراً إلى مضارب بني هلال حتى إذا تلقته نساؤها تتقدمهن الأميرة (عطور الجيد) ابنة السلطان حسن بن سرحان ليسألنه عما جرى أجابهن مسروراً معترفاً بهزيمته إلى حد قوله أنه أصبح (زمن النساء) [١٦]

وفي مجال السياسة آمن بعض الرجال بحق المرأة في إبداء الرأي والمشورة السياسية وظهر من بين النساء (نابهات) اعتمد عليهن الرجال في حل المعضلات السياسية. وكانت (الجازية) ــ كعادتها ــ على رأس من اشتهرن بالذكاء ورجاحة العقل، وقوة الشخصية وكانت المستشارة السياسية الأولى للهلاليين. فطالما لجأ إليها قادة الهلالية يلتمسون منها الرأي ويطلبون المشورة في أمور الحرب والسياسة واثقين في رأيها الراجح ونظرتها الثاقبة للأمور.

ففي إحدى المعارك، أصر (أبو زيد الهلالي) على خروج (الجازية) على رأس بعض النساء للمشاركة في الحرب وقد علل لذلك قائلاً لحسن الهلالي : " لأنه إذا اشتعلت نيران الحرب ووقع الطعن والضرب تكون الجازية وباقي السيدات أمام الأبطال في العماريات لأن الجازية من النساء الشهيرات وهي ذات رأي وتدبير" [١٧]

وفي حرب بني هلال ضد الملك (الصمصام) استشار القوم (الجازية) في اختيار الفرسان الذين يُعهد إليهم البقاء في البلاد لحماية النساء والشيوخ والأطفال القاعدين عن الخروج للحرب. لاسيما أن هؤلاء تعرضوا لاعتداءات العدو في حروب سابقة في أثناء انشغال الجيش بالحرب خارج البلاد.

يقول الراوي : " فركب السلطان حسن وركبت خلفه أربع تسعينات ألوف وسبقهم زيدان بستين ألفاً من كل بطل وفارس وما بقي في الديار غير النساء والرعاة فصاحت بهم الجازية أما تخافون على نسائكم ومواشيكم. ألم تعتبروا بما جرى عليكم من الحروب فيما مضى فقالوا لها من تريدين أن يبقى في البلاد قالت عكرمة ومرشد وكل واحد عنده خمسون ألفاً فقالوا لزيدان إن الجازية طلبت عكرمة بن أبو زيد ومرشد بن دياب أن لا يغادروا البلاد مع كل واحد خمسون ألفاً فقال إن عكرمة مفتاح الحروب ونحن لا نذهب بدونه ولكن يبقى هنا فايد ومرشد مع كل واحد خمسون ألفاً واتفقوا على ذلك ثم سارت بنو هلال إلى آخر نجد " [١٨]

ويتضح من الرواية السابقة أن الجازية كانت تتمتع بمهارة سياسية فائقة ونظر ثاقب يرى من الأحداث أبعد مما يرى الآخرون. فقد تعلمت من أخطائهم السابقة حين كانوا يتركون النساء والأطفال دون حماية فينقض عليهم الأعداء منتهزين غيبة الجيش فيستولون عليهم وعلى متاع القبيلة، لذا أشارت على القوم بإبقاء فرقتين من الجيش، لحماية المضارب والنساء.

لكن بالرغم مما عُرفت به الجازية من حصافة الرأي وحُسن التدبير فإن ذلك لم يجعل (زيدان) يسير وراءها طائعاً لرأيها طاعة عمياء. لكنه قيم رأيها فنفذ منه ما يصلح وعدّل منه ما رآه غير صالح.

ولعل من أبرز المواقف التي أبدت فيها (الجازية) رأيها ومشورتها النافذة ما أشارت به على القوم من انتخاب (دياب بن غانم) لحماية مؤخرة الجيش (البوش أو الطرش) [١٩]، كما تسميه السيرة.

فقد خشى الهلاليون على مؤخرة الجيش من هجمات زناتة ففكروا في إرسال قوة من الجيش يقودها فارس قوى لحماية البوش فأشارت عليهم الجازية بإسناد تلك المهمة لدياب.

يقول (شوقي عبد الحكيم) واصفاً موقف (حسن الهلالي) حين علم بمهاجمة العلام للبوش : " فما كان منه إلا أن جمع مجلس مشورته وفي المقدمة " الجازية " الذين بعثوا في طلبها من ليبيا على اعتبار أن لها الكلمة العليا فللجازية ثلث المشورة. وهكذا جمعت المشورة أو الشورى إلى انتداب الأمير دياب بن غانم إلى حماية المؤخرة " [٢٠]

ويقول الراوي واصفاً استشارة (حسن) للجازية في أمر (البوش): " والبوش يُخاف عليه من العدو لئلا يأخذونه، ومرادنا نبعث معه أميراً فقالوا من يروح مع البوش ؟ فقالوا الشور للجازية أم محمد لأن لها ثلث الشور فأحضروها... التفت الأمير حسن نحو الجازية وقال لها قد أرسلنا وراك لكي نشاورك في أمر البوش فمرادنا نرسله لغير موضع فشورى علينا من يروح مع البوش أبي زيد ما لنا بعده تدبير وأنا لا أصلح لأني أمير

فيقولون أميرهم راع والقاضي بدير أصابعه مقطعة ولا يصلح إلا دياب لأنه يحميه من الأعادي فأخبرينا ما رأيك ؟ فقالت له هذا رأس الشور" [٢١]

ونلحظ في الرواية السابقة أن (حسن) وضع ما يراه صواباً على لسان الجازية وهي قد أقرته على ذلك الرأي. وكأنه – هنا – لا يطلب منها المشورة بقدر ما يدعم رأيه بمن لها ثلث المشورة. حتى لا يلومه لائم في قراره، وذلك يؤكد أن حسن كان بعيد النظر حصيف الرأي يستعين برأي الجازية كي تؤازره في قراراته وتؤكد له صواب رأيه، مما يؤكد ثقته في رجاحة عقلها وحنكتها السياسية.

وفي نص آخر، يقول الراوي: " وسأل الأمير حسن الجازية عن رأيها في الرجل الذي يعهد له بحماية الطرش فنصحت بالأمير دياب فكلفه الأمير حسن بذلك" [٢٢]

ويعلق الدكتور (عبد الحميد يونس) على ذلك الموقف قائلاً: "وبدأت التعبئة إلى تونس بتعديل يسير في الركب... فقد أوردت السيرة أن أمراء الهلالية تناقشوا فيما ينبغي عليهم أن يفعلوه فاستقر رأيهم على الاحتفال بمؤخرتهم وفيها أنعامهم وأموالهم وظعائن نسائهم وأولادهم وأرادوا أن يعهدوا بها إلى قوم منهم. فأشارت عليهم الجازية وكثيراً ما كانت تشير بأن يكلوا هذه المهمة إلى دياب متعللة بأن حسن أمير القوم أجمعين فلا ينبغي له أن يتأخر وأن أبا زيد فارسهم الذي لا يمكن أن يستغني عنه. وفهم دياب أنهم يبعدونه عن الهلالية ولكنه لم ير مناصاً من الموافقة وهو كاره " [٢٣]

أما الدكتور (أحمد شمس الدين الحجاجي) فيرى أن إبعاد دياب عن الحرب كان هدفه ألا يحن لبني عمومته من الزغابة، فالزناتية والزغابة من أصل يمني واحد وهم: (الحميريون). يقول : " وكان على الهلاليين أن يحلوا المعادلة الصعبة في حلفهم فالزناتية يمنية والزغابة وهم فرع مهم في التحالف الهلالي يمنية. وكان عليهم أن يبعدوا قائد الزغابى عن هذه المعركة خوفاً من أن يحن الدم إلى الدم فيجتمع الزغابى مع أبناء عمهم الزناتة. ويتحدا في مواجهة الهلاليين. وهناك اقترحت الجازية وهي العقل الموجه في هذه الحرب أن يبقى دياب في وادي الغضا وبر الغلامس وأرض العويجة الخضراء (ليبيا) بعيداً عن المعركة في تونس يرعى إبلهم ويحميها " [٢٤]

ويتحدث الدكتور (أحمد شمس الدين الحجاجي) عن دور الجازية في إبداء المشورة وحنكتها في تدبير الأمور، يقول عن الجازية: "وكانت وراء كل التدابير الحاسمة في السيرة منذ أن بدأت التغريبة ومن هنا كان طبيعياً أن يجمع بنو هلال بأن لها حق إرث أبيها الملك بوصية والدها فيكون لها الثلث في المشورة لا يقضى أمر دونها ولا يفتأ يذكرها الراوي الشعبي النادي عثمان :

ست العيون الرياشي
كلامها وسط العرب جاز
كلامها مصدق وماشي

وعند التغني بها لا تنسى الرواية أن تذكر دائماً أنها امرأة وهي نفسها لم تنس أنوثتها فهي الفتاة الجميلة صاحبة المشورة " [٢٥]

وقد ورد في السيرة الهلالية ــ في أكثر من موضع ــ أن (حسن الهلالي) اتخذ له مستشارتين من النساء هما : أخته (الجازية)، وزوجته (شيحة) ولكل منهما ثلث المشورة. وبذلك أصبح مثلث الحكم والرأي في بني هلال يتألف من ضلعين للنساء وضلع واحد للرجل وبذلك أصبح القسم الأكبر للرأي واتخاذ القرار من حظ النساء ولذلك خطره لاسيما إذا تصورنا اتحاد رأيي الجازية وشيحة ضد رأي حسن.

يقول الراوي عن تعيين (الجازية وشيحة) مستشارتين لحسن : " وأولوه من ساعتهم أمر القبيلة وعينوا له مستشارتين : شيحة والجازية " [٢٦]

وحين نعلم أن هؤلاء القوم قد قالوا عن (حسن) : " هذا الذي يصلح بنا لأن جوابه نافذ جميل " [٢٧]، فإن ذلك يدل على تمتع حسن بالحكمة وسداد الرأي. وحين يختار القوم لرجل مثل هذا مستشارتين من النساء. فإن ذلك يدل على تمتع هاتين المرأتين بالحكمة ورجاحة العقل وحسن الرأي.. فالقوم لم يعينوا لحسن مستشارتين لنقص فيه، بل لتميز هاتين المرأتين بالحكمة وحسن الرأي والتدبير، فقد وصف (حسن الهلالي) بالفطنة والحزم. يقول الراوي : " تولى حسن الهلالي بو على شئون القبيلة، وساد على أبطال مثل بدر وزيدان وذياب وبوزيد بفضل فطنته وحزمه، واتخذ له امرأتين يستشيرهما في كل كبيرة وصغيرة هما أخته الجازية وزوجته شيحة أخت بوزيد " [٢٨]

ويرى (شوقي عبد الحكيم) أن ثلث المشورة منحت لـ(شما) أم السلطان حسن والجازية، ثم ورثت (الجازية) أمها وأصبحت لها ثلث المشورة.

يقول (شوقي عبد الحكيم) الذي يعد (شما) إلهة قمرية : " فهذه الإلهة الكاهنة شما التي كان لها وحدها ثلث المشورة " ثم يعود فيقول عن (الجازية): " (نوربارق) التي تسمت بالغازية أو الجازية التي سترث أمها السالفة (شما) في قيادتها لحروب هجرات بني هلال حتى ليصبح لها ثلث المشورة " [٢٩]

وتتضارب الروايات حول منح الجازية وشيحة ثلثي المشورة، فثمة رواية تجعل ثلث المشورة للجازية وثلثها الثاني تجعله لأبي زيد الهلالي،يقول الراوي : " قالوا له: يا أبو زيد أنت ليش متأخر عن المجموعة وأنت بتعرف ثلثين رأينا عندك وعند الجازية أم محمد " [٣٠]

في حين يجعل راو آخر ثلثي المشورة للجازية وحدها. يقول : " والجازية إلها ثلثين (شور) بني هلال " [٣١]

أما الدكتور (عبد الحميد يونس) فيشير إلى حصول الجازية على (ربع المشورة)! يقول متحدثاً عن الجازية : " وبلغ من قوة شخصيتها أن كانت تشارك في تدبير الأمور وإقرار الخطط حتى قيل إن لها " ربع المشورة " في الديوان. هذا إلى شجاعة نادرة تكاد تقربها من الرجال " [٣٢]

وكذلك يشير (محمد فهمي عبد اللطيف) إلى حظو الجازية (بربع المشورة) لا الثلث كما شاع في جل النصوص. يقول عن الجازية : " وتقول القصة إنها كانت تتمتع بربع المشورة، في شئون العرب وما يدبرون من الأمور. ومعنى هذا أن المرأة كان لها من المكانة والاعتبار عند هؤلاء البدو أرحب مما يحسب لها في أمثل النظم الديمقراطية في العصر الحديث " [٣٣]

وكما كانت (الجازية) تشير على الرجال بما ينبغي عليهم أن يفعلوه. فقد كانت تلجأ ــ أحياناً ــ إلى أبي زيد الهلالي تطلب منه المشورة. فحين طغى (دياب) وتجبر بعد أن استولى على عرش تونس راحت الجازية تستشير أبا زيد فيما ينبغي عليهم فعله لإيقاف طغيان دياب. فـ " انتظرت الجاز رأي أبي زيد إنها اللحظة الحاسمة التي يتحدد فيها مصير بني هلال ومستقبلهم ويتغير الموقف في السيرة. فبعد أن كانت المشورة للجاز... تذهب الجازية إلى أبي زيد للمشورة... فيوصيها أبو زيد أن تذهب إلى محمود البياضي حاكم مكناس وابن عم الزناتي خليفته " [٣٤]

هكذا يؤكد الدكتور (الحجاجي) أن استعانة الجازية بمشورة أبي زيد تعد (تغير موقف)، لأنها طلبت المشورة بعد أن كانت تمنحها. وقد ظلت (الجازية) تشير على قومها وينفذون رأيها فكان (أمرها مقضياً) – على حد قول الراوي –

فحين مات أبو زيد الهلالي أشارت الجازية على قومها أن يدفنوه بجوار أخيها حسن ففعلوا. يقول الراوي : " وأخيراً أفاق أبو زيد من غشيته ونظر إلى من حوله ثم شهق شهقة واحدة. فأخذت روحه بعدها... فأشارت الجازية بدفنه بجوار الأمير حسن وكان أمرها مقضياً " [٣٥]

هكذا حظيت (الجازية) بمكانة عالية في قومها وكانت صاحبة رأي نافذ ومشورة راجحة في حل المعضلات السياسية التي تواجه بني هلال.

وفي المعسكر الغربي تطالعنا شخصية (سعدى بنت خليفة الزناتي) وهي الشخصية المقابلة للجازية. في الاتصاف بقوة الشخصية ونفاذ الكلمة والرأي الراجح والتأثير في قومها وفي مجريات الأمور.

وقد حظيت (سعدى) بثقة أبيها مثلما حظيت (الجازية) بثقة أخيها. وكثيراً ما كان الزناتي يلجأ إلى ابنته (سعدى) طالباً منها المشورة. وينفذ مشورتها. فهي التي أشارت عليه بعدم إعدام أسرى الهلالية والاكتفاء بحبسهم حتى لا يُعيَّر بهم حيث قالت له: " أنا أشور عليك بحسب فكري أن تحبس هؤلاء الثلاثة شبان في قصري ويكونوا تحت طوعي وأمري وترسل ذلك العبد إلى بلاده بلا إهمال في طلب الفدا والمال فإن حضر ذلك نجا من الاعتقال وتكون أنت معذور عند جميع الرجال" [٣٦]

ويستجيب الزناتي لطلبها وينفذ مشورتها فيسجن الأمراء الثلاثة في قصرها ويطلق سراح أبي زيد. يقول الراوي : " فأشار الزناتي مستجيباً إلى طلب أبي زيد وأطلقه استجابة لمشورة سعدى ابنته " [٣٧]

وحين فكر الزناتي في إطلاق سراح أسرى الهلالية خوفاً من (دياب) وقفت سعدى أمام رغبته تلك وأشارت عليه بعدم تحرير الأسرى بحجة أن ذلك لن يمنع بني هلال عن حربه، يقول الراوي: "اجتمع الزناتي إلى قومه بعد هربه من وجه أبو زيد فدار الحديث حول قوة هذا الماكر وبراعته في فنون القتال والحرب، وكيف أن ضربته خرقت الباب حتى نفذت من طرفه الآخر.. فزاد هذا الكلام في قلق الزناتي، وقال لقومه : كيف الرأي مع هذه المصيبة التي وقعنا فيها ؟ فعجزوا جميعاً عن إعطاء رأي ينقذهم من الموقف الذي وقعوا فيه.. فقرر الزناتي عندئذ المصالحة، وكتب إلى أبي زيد يعرب عن استعداده للإفراج عن الشباب الثلاثة.. فوافق أبو زيد والأمير حسن وكتبوا له أن يفعل، ليتأكدوا من صدق كلامه.. فأرسل الزناتي إلى ابنته سعدا لتفرج عن الشباب، فترددت وأتت إليه تقول: إن بني هلال لن يغادروا هذه البلاد سواء أطلقت سراح شبابهم أو لم تفعل " [٣٨]

ويعلق (شوقي عبد الحكيم) على دور (سعدى) في إبداء المشورة السياسية، يقول: " إن سعدى بدورها كانت أقرب إلى كاهنة – قمرية – لها دورها المتحقق في المشاركة والشورى السياسية والحربية " [٣٩]

ويعلق أيضاً على استشارة (الزناتي) لسعدى حين وقف دياب بباب قصره يطالبه بالنزال. يقول: " حتى إذا استنجد الزناتي بابنته سعدى مستشيراً متخبطاً حثته من فورها على مواصلة القتال حيث لا مهرب " [٤٠]

هكذا لعبت (سعدى) في قومها الدور السياسي ذاته الذي لعبته (الجازية) فكل منهما مثلت العقل المدبر والمستشار السياسي لقومها الذين لا يبرمون أمراً دون الرجوع إليهما بالمشورة.

ولأن منح المشورة لامرأة كان بمثابة إعلاء من شأنها، فمن ثم كانت تغار من حُرمت هذا الحق في المشورة ممن لها ذلك الحق.

فتلك (عذباء) زوجة المنذر تغار من ضُرتها (هذباء) لأنها أقرب إلى المنذر منها ولأنها تشير عليه وهي لا. تقول معاتبة لزوجها :

ومالك ورزقك كله لأجل جابر وهذبا بنت مهذب عليك بتشور
وأنت تهجرني وتترك صداقتي وتدعي همومي بالصدور تنور [٤١]

هكذا غارت (عذباء) من منح (هذباء) حق المشورة لزوجهما. وعاتبت زوجها في ذلك لعلمها أن ذلك يعلى من قدرها عنده أكثر منها.

وكما وثق بعض الرجال في عقل المرأة ولجأوا إليها يلتمسون المشورة فيما أشكل عليهم من أمور. كان من الرجال من ازدرى مشورة النساء وحقر من شأنها بل وعاب من يأخذ بها من الرجال. فلقد أشارت (عدلا) على محبوبها الأمير (مفلح) أن يستنجد بقومه من بني هلال في حربه ضد قومها لكثرة عدد جيش أبيها عن عدد أعوان مفلح.

يقول الراوي :" أما الأمير مفلح فإنه ذهب للمكان الذي فيه محبوبته عدلا فاستقبلته بالترحاب ثم قالت له أنا أخاف عليك من كثرة الجيش فاعلم بني هلال بواقعة الحال حتى أكون مطمئنة البال فاستصوب كلامها وكتب إلى بني هلال " [٤٢]

وإن كان (مفلح) قد استصوب كلام (عدلا) وأخذ بمشورتها وأرسل إلى بني هلال طالباً النجدة والعون. فإن عدوه (الهدار) يعيب عليه أخذه بمشورة امرأة.

يقول الراوي :

رد الفتى الهدار وناري بالحشا يا حيف مثلك أن يكون معثرا
شارت عليك عدلا بشور خايب والجيد عمره ما يشاور مرا [٤٣]

وقد يندم الرجل على أخذه بمشورة المرأة، كما حدث للزناتي الذي عض بنان الندم لاستشارته لابنته (سعدى) وأخذه بمشورتها في سجن أسرى الهلالية بدلاً من إعدامهم ؛ لأن ذلك جلب عليه وعلى بلاده البلاء بقدوم بني هلال لحربه في جموع غفيرة هزت أركان دولته. فحين شعر الزناتي بدنو أجله بيد دياب. استدعى ابنته (سعدى) وراح يعنفها على مشورتها التي جلبت له الخراب. يقول الراوي : (وقد وقف دياب بباب الزناتي يطالبه بالنزال) : "فمضى البواب وأعلم سيده الزناتي، فضاقت في وجهه الدنيا وما عاد يعي على حاله لأن كل منية لها أسباب، والزناتي منيته على يد دياب... فأرسل وأحضر ابنته سعدا وقال لها: يا باغية ما أحد جلب لنا هذا البلاء إلاك. فلو تركتيني أقتل المحابيس وأبو زيد معهم كنا ارتحنا من بني هلال ولا نظرناهم " [٤٤]

ويقول الراوي – في رواية أخرى – على لسان الزناتي يعنف ابنته سعدة نادماً على أخذه بمشورتها :

وكله برأيك يا عكيسة وشورتك قطعتي فوارسنا وكل جنود [٤٥]

ويصور الراوي – في موضع تالٍ – موقف الزناتي الغاضب من ابنته، يقول: "وأما ما جرى للزناتي خليفة لما روح إلى قصره جلس وإذا بسعدة طلعت له وقالت له سلامات يا أبتي فقال لها لا سلمتي ولا كنتي فقالت له أنت كل ما تنغلب تجي تباكيني بالكلام المؤلم " [٤٦]

وإن كان (الزناتي) قد ندم على أخذه بمشورة (سعدى) فإن (سعدى) ذاتها تعترف بأن مشورتها جلبت على أبيها الوبال وتقر بأن الأنثى ليس لها أمان! تقول :

أشرت على أبويا شور أطاعني ومن يأمن الأنثى يروح عدام [٤٧]

هكذا أراد الراوي أن يورد على لسان (سعدى) اعترافاً بضرر شورة النساء. وذاك ليس بغريب على مجتمع أطلق مثله السائر الذي يدعو لمخالفة شور النساء. حيث يُقال: " شاوروهم وأخلفوا شورهم " [٤٨]

تلك كانت لمحات من دور المرأة في منح الرأي والمشورة السياسية. منحت لبعض النابهات فبرزت حكمتهن في حل المعضلات والقضاء على الملمات التي تعرض لأقوامهن. لكنها أبداً لم تمنع من الاستعانة بمشورة الرجال. كما أنها لم تمنع بعض النساء من اللجوء للرجال لأخذ مشورتهم، وقد قبلها بعض الرجال وكرسوا لها، في حين رفضها البعض الآخر وحقروا من شأنها وازدروا من يلجأ لمشورة النساء من الرجال، وكذلك ندم بعض الرجال على الأخذ بمشورة النساء لما قد تجلبه عليهم من الضرر.

لكن على أية حال فالمرأة لعبت دوراً بارزاً وحيوياً في إبداء الرأي ومنح المشورة السياسية للرجال.

وفي السيرة الهلالية نلحظ أدواراً سياسية لعبتها النساء تعكس مدى تفاعلها مع الأحداث. ومن ذلك استقبال النساء لأبي زيد بعد عودته من الحرب وقد لحقته الهزيمة على يد السركسي، فخرجت النساء للاطمئنان على حاله وما جرى في المعركة. يقول الراوي: "فرجع أبو زيد بغاية الكدر ورجع معه باقي الجيش والعسكر حيث كان أظلم الظلام واعتكر، ولما وصل إلى المضارب التقت به النساء والبنات وسألوه عن حاله وما جرى في قتاله" [٤٩]

وكثيراً ما صورت المرأة ثائرة حيال الأحداث السياسية تعمل جاهدة على تغيير مالا يروق لها من أوضاع تتعارض ومصلحة مجتمعها، فحين رأت (الجازية) أن أبا زيد كلما نازل العلام لا يقتله – وكانت تعلم ما بينهما من عهد واتفاق منذ الريادة – حيث اتفقا على أن يسهل العلام للهلاليين النيل من الزناتي وتخليص أسراهم وامتلاك الغرب في مقابل أن ينصبوه حاكماً على تونس – ومن أجل ذلك لم يكن أبو زيد حريصاً على قتل العلام كلما لاقاه في النزال. ولقد لاحظت الجازية ذلك وأدركت بحنكتها السياسية أن أبا زيد لن يقتل العلام مهما نازله. فثارت على القوم وأشارت عليهم بتنحية أبي زيد عن نزال العلام وأن يتولوا هم قتل العلام.

يقول الراوي: "ولما كان العلام برز إلى الحرب والكفاح تلقاه أبو زيد خوفاً عليه من بني زغبة ورياح وأخذ منه وأعطاه وبايعه وشراه إلى عند الزوال قتل جواده وأعطاه غيره. وقال له عود يا علام إلى الحي وثاني الأيام تجادل هو وإياه في الحرة سبعة أيام فضجت بني هلال من إطالة الحرب والقتال والطعن والنزال فأشارت الجازية على أبو زيد والعلام تقول صلوا على طه الرسول:

أنا أول ما نبدي نصلي على النبي نبي عربي نوره من القبر ظاهر
تقول جزات الناس أخت أبو على ألا فاسمعوا قولي يا هلال يا أكابر
ألا فاسمعوا يا قوم ما أقول لكم وإني أقول الحق والحق ظاهر
أبو زيد والعلام يصبح يجادله من الصبح لما الليل يمو عساكر
لأنه حالف عمره ما يخونه متعاهد وياه العهد واغر
ولو كان يحاربه مدى العمر يا بطل ما يقتله أبداً ولا له يقاصر

وادِيني علمت القوم كامل بمـــا جـــرى وبكره إن أتى العـــلام للحـــرب غـــاير
ورأيتم أبـــو زيـــد الهلالـــي يجادلـــه يصيحون عليـــه خلـــوا دمـــه قـــواطر
وادعوه على الغبـــرة قتيـــل مجنـــدل في تار صـــبرة عـــز قـــيس الأكـــابر
مقـــالات جـــزات النـــاس أم محمـــد وقلبي حمل له حمل من البين صـــادر
وأفضل ما قلنا نصـــلي علـــى النبـــي نبي عربي شـــمعة قـــريش الأكـــابر[٥٠]

هكذا ثارت (الجازية) على موقف أبي زيد من العلام وطالبت الناس بقتل العلام وأخذ ثأر (صبرة بن أبي زيد) لأن أباه لن يفعل حفاظاً على عهده والعلام.

ليس هذا فحسب بل إنها اتهمت أبا زيد بالخيانة وأنه (موالس مع العلام).

كأنك يا بو زيد موالس علـــى العـــرب يتحكم على العلام ويرتد رايـــح [٥١]

ويتحمس أبو زيد للقتال ويشتد على العلام متأثراً بكلام الجازية، يقول الراوي : " فلما فرغت الجازية من كلامها رمح الأمير أبو زيد على العلام ضرب جواده عرقله وخلاه فأركبوه زناته جواد غيره " [٥٢]

هكذا استطاعت (الجازية) الثائرة أن تلهب الحماسة في صدر أبي زيد فاشتد على العلام في النزال بعد ما كان يترفق به.

وتستمر (الجازية) الثائرة في تحريض قومها على قتال الزناتي بعد أن نازله دياب أكثر من مرة ولم يظفر به فأتت الجازية وثارت ثورتها في وجه دياب وهبت تحث القوم على قتال الزناتي وهددتهم بخروج النساء للحرب لتثير نخوتهم!. يقول الراوي : " فبينما هم في الكلام وإذا بالجازية دخلت عليهم تهز في أعطافها وتخرج أردافها وهي تقول صلوا على طه الرسول :

أنا أول ما نبدي نصلى علـــى النبـــى كل من صـــلى عليـــه ينـــال الفوايـــد
تقول جزات الناس أخـــت أبـــو علـــى أنـــا فـــى حـــرب الزنـــاتى جهايـــد
أنا بنت سرحان الهلالـــى علـــى نقـــا وأخويا ســـلطان علـــى القـــوم يمايـــد
عليهـــا أرد الخيـــل وحـــدي وأكيـــدها بســـمر القنـــا والمرهفـــات الهنايـــد
واقتـــل أبـــو ســـعدة الزنـــاتى خليفـــة وأخلـــى دمـــه علـــى الأرض بدايـــد
لا يا عذارى قوموا للخيـــل واركبـــوا على خيل ضمر مـــن بنـــات الجوايـــد
ونلبس خـــوذهم والـــدروع وغيرهـــا وتبقـــى تكـــافح بـــالأمور الشـــدايد
ونلطـــم قـــروم للزنـــاتى خليفـــة ونخلـــى دمـــه علـــى الأرض بدايـــد
ونقتـــل كـــل قـــرم غشمشـــم ويبقـــى لنـــا تـــذكار بـــين الأجـــاود
وإن كـــان لا يكســـرونا وتنثنـــى علـــيكم يعـــود العـــار والعـــار زايـــد
وهـــاتوا براقعنـــا وقومـــوا البســـوها وهـــاتوا ملابســـكم وكـــل الفوايـــد
ألا يا بنـــات هيـــا اســـمعوا وشـــدوا ودقوا طبول الحـــرب مثـــل الرعايـــد
أبو زيد ما تنتظر حسن وابـــن غـــانم وجميع هـــلال مـــا بهـــم مـــن يكايـــد
وذلوكم في الحـــروب وقـــت نفوســـكم وأمـــا الزنـــاتي فـــيكم نعـــم صـــايد
وصـــاد أكـــابركم ويـــتم صـــغاركم قطعكـــم أبـــو ســـعدة بنـــار الهنايـــد
وصـــبغوا بـــراقعكم يزيـــد وحشـــتك وأقاربك يـــا زغبـــى قليـــل الجهايـــد
ياحيف دي الشهبا يـــا حيـــف جريهـــا ويا حيف ما ينشـــدون فيـــك القصـــايد
حشـــتهم بخـــيلكم يـــا آل عـــامر هـــزمكم أبـــو موســـى وكـــان لايـــد
هـــزمكم وطـــردكم وقتـــل خـــيلكم قتـــل مـــنكم تســـعين فارســـاً وزايـــد
تخلى ثارات مضـــوا يـــا ابـــن غـــانم يا أبـــو موســـى يـــا كثيـــر الجهايـــد

ألا يا عذارى ارخوا الـذيل وانزلـوا وشدوا لنا مـن فـوق خيـل جوايـد
وننزل إلى الميدان في حومـة الوغـا بسـمر القنـا المرهفـات الهنايـد
مقالات جزات الناس أخـت لأبـوعلى ولابـد مـن قتـل الزنـاتى وكايـد
ولابـد مـن قتـل الزنـاتى خليفـة بمزراق مـن يـدي بعـض الجلامـد
وأفضل ما قلنا نصـلى علـى النبـى نبـى عربـى أتـى بكـل الفوايـد

(قال الراوي) : " فلما فرغت الجازية من كلامها والأمارة يسمعون نظامها وإذا بالأمير دياب قال لها يا جازية أنا للزناتي كفي وحق رب البرية " [٥٣]

هكذا ثارت الجازية وأثارت دياب لحرب الزناتي حين هددت الرجال بخروج النساء للقتال ما داموا تقاعسوا عنه. وقد نجحت في إثارة حماسة دياب الذي أكد لها كفاءته لنزال الزناتي.

ومن مواقف (الجازية) التي بدت فيها (ثائرة)، توبيخها للمتخاذلين عن القتال في حرب بني هلال ضد الهصيص الذي هزمه الهلاليون بصعوبة بسبب تخاذل بعض الفرسان في القتال. فثارت عليهم الجازية وعنفتهم على جبنهم وتخاذلهم. (يقول الراوي): "وصارت الجازية تشتم وتوبخ من هرب وتمدح من ثبت " [٥٤]. وحين قتل (دياب بن غانم) السلطان حسن الهلالي ومن بعده أبا زيد. وتسلطن على البلاد خضع له الأمراء ودانوا له بالولاء – رغم غدره بحسن وأبي زيد – فثارت الجازية لذلك وعنفتهم لموقفهم المتخاذل.

يقول الراوي: "وأما ما كان من دياب فإنه لما بلغه أن الأمير أبو زيد مات وشرب كأس الآفات ودفنوه جمع ستين ألفاً من قومه وسار إلى بلاد القيروان ليجري حكمه عليها ويعمل كما يعمل الحكام فلما سمع بنو زحلان ودريد بهذا الخبر اجتمعوا وتشاوروا مع بعضهم فاتفقوا أن يطيعوا دياب وينادوا باسمه إذ ليس لهم على حربه طاقة... وغضبت الجازية لما عرفت بذلك وشتمتهم " [٥٥]

هكذا بدت (الجازية) ثائرة دائماً تستنفر قومها للقتال والثبات عليه. وتكره أن ترى فيهم تخاذلاً أو ضعفاً فهي تثور على كل موقف غير مشرف. وتسعى دائماً لما يعز قومها ويعلي من شأنهم بين القبائل الأخرى.

وتلك (ذؤابة بنت الخفاجي عامر) تثور على قومها وتحثهم على القتال وعدم التقاعس. فيستجيب لندائها الفرسان ويهرعون للقتال. يقول الراوي : " ورمحوا على خفاجة وأخذوا منهم المال والعيال وإذا بالأميرة دوابة بنت الخفاجي عامر أشارت تقول:

أنا أول ما نبدي نصلي على النبـي نبي عربـي بـين طريـق المـذاهب
قالت دوابـة عنـدما شـطها النيـا وقاسيت من الـدنيا ليـالي صـعايب
ألا يا خفاجة الطمو الخيـل بالقنـا وحوشوا جميع المال مـنهم غصـايب
تفوتوا لهم يا قوم خفاجة لمـا لكـم وأعيب علـيكم يـا طـوال العـدايب
لما سمع محمـود وزايـد كلامهـا ركبوا على خيل من خيـار النجايـب
وركب الفتى عامر وركب خفاجـة وحلوا صدور الخيل من كل جانـب [٥٦]

وكما صورت السيرة الهلالية (الجازية) في مواقفها الثائرة. صورت أيضاً نظيرتها (سعدة) في مواقف عدة بدت فيها ثائرة على ما يدور حولها من أحداث. فها هي تحمس أباها الزناتي لقتال دياب بن غانم (يقول الراوي) :

فقالت سـعدة يـا أبـى خليفـة مالـك كذا مهموم مـن دون الأيـام ذالـل
قومـوا اجتهـدوا واقتلـوا ابـن غـانم فيا حيف لبسك في الحرير الخبائـل

ويا حيف دا الأشهب ويا حيف حر به يا حيف قصورك واتقين القفايل
عيب للرجال لما يعيبوا يولوا عن إقطاعهم يبيتوا غربا ذلايل
فلاقوهم بالطعن واحموا بلادكم وإلا انزلوا واخلوا ظهور السلايل
وخشوا الخبا واعطوا المزاريق للنسا وتأخروا وخلوا العذارى تقاتل
وهاتوا لنا الشاشات فوق رءوسنا واحنا علينا حروب هذي القبائل
وطلعوا فوق الجبال وزغرطوا وارخو عند المنام الدلائل
وأفضل ما قلنا نصلي على النبي نبي عربي شمعة قريش الأوائل [٥٧]

هكذا انبرت (سعدة) تعنف أباها وقومها لتخاذلهم في حرب بني هلال، وقد وبختهم توبيخاً لاذعاً حين هددت بخروج النساء للحرب بدلاً منهم ودعتهم لدخول الخيام كالنساء وتسليم السلاح للنساء كي تحارب. في حين يقف الرجال فوق الجبال ليشجعونهن على القتال: كما كان منوطاً بالنساء.

ثم يعود الراوي فيكرر تعنيف (سعدة) لأبيها وثورتها ضده. (يقول):

مقالات سعدة يا أبي خليفة فمن ذا بعدك يكون إلينا بسايل
فمثلك تدير المهر يا أبتاه من العدا تبقى بها عار بين القبايل
وإن كنت وليت من دياب ابن غانم فخلي الصبايا يا زناتي تقاتل [٥٨]

وحين أشارت (سعدة) على أبيها بسجن الأسرى الهلاليين بدلاً من إعدامهم قالت له في تحذير شديد اللهجة:

وقالت يا أبتي ليس تجور بحكمك الظلم ياما كاد كل أسود
امسك سياد القوم واطلق عبيدهم يجيب لنا مال كثير معدو [٥٩]

فهي تحذر أباها من الظلم لأن الظلم يهلك صاحبه مهما كانت قوته فإن ظلمه يعجل بهلاكه. وحين يقتل أبوها تثور (سعدة) ثورة جامحة وتنهال على العلام توبخه لتقاعسه عن القتال وتتوعد بأن تأخذ هي ثأر أبيها.(تقول):

وقالوا العلام يشابه خليفة فقلت لهم تعس الزمان وجار
لوين شجاع الخال قرم غضنفر منسوب في الهيجا ولي تذكار
لأصبح أشيلهم بعزمي وصارمي وأصيح فيهم يا لأخذ التار
وأقتل أبو زيد الهلالي سلامة وحسن الهلالي لهم شوار
وأقتل أبو موسى دياب بن غانم وأجيب قاضي البدو في جنزار
وأنا وليه ما على شطارة ولا التقي مسعف ولا منجار
لا يوم مطرودين ويوم طردوا ولا أفرحتموا قلبي بأخذ الثار
ياريت يا علام كنت وليه وتضرب مثلي في الديار بالطار
تمنيت دا الأدهم يكون جنتيه مع العدا وانت ملقح والدما تيار

أيا دار إن عـدنا لمـا كـان أول جعلتك مصلى والقبور مـزار [٦٠]

هكذا ثارت (سعدة) لمقتل أبيها وعنفت العلام ووبخته لتقاعسه عن الأخذ بثأر أبيها حتى إنها دعت عليه أن يكون امرأة ضعيفة مثلها.

وتنجح (سعدة) في إثارة الحماسة لدى العلام فيعدها بالخروج للقتال والثأر لأبيها. (يقول الراوي) :

تبدى علام الزنـاتي يقـول لهـا وله عزم كيف الصارم البتـار
أيا سعدة قلي الملامات واقصري ويكفاك يا سـعدة كـلام العـار
أنا فتى علام ومنسوب في اللقـا والأجواد عنـي تنقـل الأخبـار
باكر بعـون الله نركـب خيولنـا ونسير على نجع العـرب غبـار

هكذا أثارت (سعدة) بكلامها نخوة العلام وحمسته للقتال حتى إنه اعترف بذلك للقوم حين قال لهم : " أنا كنت من قبل هذا نهيتكم عن قتال هؤلاء الأقوام والآن والله كلام سعدة قطع أمعائي" [٦٢]. وبالفعل ينفر العلام للقتال إرضاءً لسعدة وإخماداً لثورتها.

وكما ثارت (سعدة) لمقتل أبيها الزناتي. ثارت أيضاً أخته (زعيمة) الملقبة بـ (ست الغرب) وعزمت على الأخذ بثأر أخيها. يقول الراوي (على لسان زعيمة أخت أبي زيد):

وإذا لم أنول الثأر يا طول حسـرتي ويا طول شقايا في الربا والكتايـب [٦٣]

ثم تتوعد (دياباً) – قاتل أخيها – قائلة :

تهيأ للرحيل يا دياب يا ابـن غـانم من قبل أن تغـدو إلـى القبـر نـازل
وعبي لزادك فـ الطريـق بعيـدة من قبل أن تمسي إلى القبر راحـل [٦٤]

هكذا بدت المرأة في كثير من الأحيان ثائرة تحث الجيوش على القتال وتوبخ المتقاعسين والمتخاذلين، وتطالب بالحرب والثأر.

والتجسس على الأعداء دور من الأدوار السياسية المهمة التي قامت بها المرأة في السيرة الهلالية. ومن ذلك ما ورد عن قيام (الجازية) بالاستطلاع في تحركاتها الحربية مع الأيتام في أثناء زحفهم لمحاربة (دياب).

يقول الراوي : " ثم إنهم ركبوا بستين ألف فارس وساروا واليتامى أمامهم وعندما أمسى المساء نزلوا ليرتاحوا فسمعوا صوت عرب نازلين بالقرب منهم، وشاهدوا نيرانهم، فقال بريقع أظن هذا دياب أتى ليقتلنا. فمالنا ألا نرسل من يكشف لنا الخبر، فقالت الجازية أنا أسير وأكشف لكم الخبر، ثم قلعت ثياب النساء ولبست ملابس الرجال وتقلدت بالسلاح وأخذت معها شيبان وبريقع وأوصت ألا أحد يشعل النار أو يبدي حركة قبل أن يحضروا ثم ساروا تحت الظلام حتى قربوا من الربع فسمعوا بكاء الأطفال ونبيح الكلاب فعلموا أنهم عرب راحلون بعيالهم ويمكن هاربين من دياب " [٦٥]

وحين نمعن النظر في تصرف (الجازية) السابق نقف فيه على أكثر من مغزى فهي أولاً قادت رجلين لمهمة الاستطلاع. ثم إنها استعدت لتلك المهمة بالتنكر في زي رجل إمعاناً في الحرص، وليس هذا فحسب بل إنها أوصت بما يؤمن سلامتها وسلامة من معها بل وسلامة من تركتهم خلفها من جنود بأن أوصت الجنود بعدم إشعال نيران وألا يحدثوا ضجة حتى تعود كي لا ينكشف أمرهم ويشعر بهم أحد. وتلك التصرفات من الجازية تؤكد ما أثر عنها من ذكاء وخبرة حربية وسياسية كبيرة وقدرة على التخطيط وقيادة المعارك.

وثمة امرأة أخرى تدعى (قنوع العامرية) كانت تتجسس على بني هلال لحساب الملك (شبيب) عدو بني هلال. وقد أرسل إليها الملك (شبيب) رجلاً من أتباعه يدعى (مسرور) كي يعرف منها أخبار بني هلال. فراحت تخبره بما جمعت من أخبار. فبعد أن عاد (مسرور) لشبيب وأخبره بما عرف من أخبار بني هلال التي سربتها له (قنوع). قال (مسرور) لشبيب إن (قنوع) توصيه بما يلي :

فقالت أوصي شبـــيـــب وقل له يـــلاقي هـــلال صفـــا ووقـــار
إذا جاء أبو زيد يبغي حربكم يكن شبـــيـــب فـــي لقـــاه حذار
ترى عدد قوم هلال وعامر أربع تسعينات ألوف جهار
أبو زيد مع أجاويد قومه عددهم تسعين ألفاً كلهم أمار
ودياب في تسعين ألف محارب من آل زغبة من فروع كبار
وتسعين للقاضي بدير الفايد قاضي هلال فارس الجبار
وتسعين إلى حسن أبو علي أمير حوى جاها وكل وقار
وهذا الذي أبصرت يا فخر الملا وقولي صحيح ما به إنكار [٦٦]

هكذا أخبرت الجارية (قنوع) جاسوس قومها (مسرور) بمعلومات مهمة عن معسكر الهلالية. فذكرت له عددهم وتقسيمات جيشهم وعدد كل فرقة من فرقهم واسم قائدها وصفات المحاربين في كل فرقة. ثم ختمت (تقريرها) بما يؤكد صحة ما تقول :

هذا الذي أبصرت يا فخر الملا وقولي صحيح ما به إنكار

وتلك معلومات مهمة ودقيقة من شأنها أن تفيد (شبيب) في حربه ضد بني هلال. هكذا لعبت المرأة دوراً هاماً في عمليات التجسس والاستطلاع العسكري بوصفها عمليات سياسية تسبق الحرب وتفيد الخصم في معرفة مواطن القوة والضعف في خصمه.

ومن الأدوار السياسية المهمة التي لعبتها المرأة في السيرة الهلالية، اشتراك النساء في تنفيذ الحيل السياسية والخدع الحربية. التي كانت عادة ما تتم بتخطيط أبي زيد الهلالي، ويوكل تنفيذها للجازية ومن تختارهن من النساء.

ومن تلك الحيل، حيلة أبي زيد الشهيرة للتخلص من عدوه (الفرمند) والتي اختار فيها (الجازية) وبعض البنات كي يساعدنه في تنفيذ حيلته.

يقول الراوي بعد أن أرسل (الفرمند) رسالة تهديد لحسن الهلالي: "وعندئذ التفت الأمير حسن إلى أبي زيد وسأله: ماذا عولت أن تفعل يا أبا الحيل؟قال له، مرادي أن أحتال على الفرمند بحيلة ما سبقني عليها أحد، وهو أن أختار أربعين بنتاً من بنات العرب ومن جملتهم الجازية أم محمد وأحضر أربعين صندوقاً، ويكون في كل صندوق طبقتين فأضع في الطبقة الأولى القماش والحرير وفي الطبقة الثانية الفرسان المغاوير ونحملهم على ظهور الجمال وأركب مع البنات والأحمال ونسير إلى عند الفرمند على سبيل تقديم المال وندخل السراية وهو لا يعلم بهذا الحال حتى إذا وصلنا إلى هناك احتلنا عليه وبنجناه وبلغنا منه ما نتمناه ونهبنا ما في قصره من الأموال ثم ارتحلنا بالحريم والعيال من هذه الأطلال وليس لنا غير هذا التدبير" [٦٧] وهكذا آثر أبو زيد اصطحاب النساء معه لتنفيذ حيلته للتمويه على العدو. وتنجح حيلة أبي زيد الهلالي كما أراد بفضل مساعدة الجازية والنساء اللائي شاركن في إتمام الحيلة على خير وجه.

ويعلق (شوقي عبد الحكيم) على تلك الحيلة في حديثه عن صفات أبي زيد الهلالي. يقول عن أبي زيد : " فكانت تصل به حيله وأحابيله إلى حد التنكر تحت جلد الحيوانات

في هيئة مهرج لأميرات بني هلال عبر احتيالهن على حكام البلاد الذين يجتازونها ومنها حاكم مصر الملقب بالفرمند " [٦٨]، ثم يشرع (شوقي عبد الحكيم) في سرد الحيلة السابقة.

ومن الحيل الشهيرة في السيرة الهلالية والتي استرعت انتباه كثير من الدارسين حيلة أبي زيد الهلالي لدخول تونس والتي شاركت فيها النساء وفي مقدمتهن (الجازية)، يقول الدكتور (عبد الحميد يونس) مشيراً إلى تلك الحيلة: "كما كانت الجماعة تصطنع نساءها وفتياتها الحسان الأنيقات للتجسس والتحايل وأعمال الطابور الخامس كما فعلت الجازية ورفيقاتها في التسرب إلى مدينة تونس" [٦٩]. فقد أغلق الزناتي أبواب مدينة تونس وأمر الحراس بعدم فتح الباب لأحد أيا كان خوفاً من تسرب الهلالين إلى داخل البلاد.

وخطط أبو زيد لدخول تونس عن طريق الحيلة فتنكر في زي امرأة واصطحب معه الجازية في عدد من النساء لإغراء الحارس على باب تونس كي يفتح لهم الباب. يقول الراوي: "وقال الأمير أبو زيد لهم – قصدي أعمل حيلة تسوى قبيلة. فقال له الأمير: دعنا نسمعها.. فقال الأمير أبو زيد: ادعوا الجازية.. فدعوها فحضرت بين يديه: فالتفت إليها الأمير وقال لها. مرادي تجمعي مائة بنت من بنات العرب وأحضريهن في الليل.. ومن ساعتها أحضرت مائة بنت إلى الأمير أبو* زيد فقام ولبس ثوباً أبيض مثل النسوان ولبس درعه واتحزم بسيفه وسار هو والبنات والجازية ليلاً إلى أن وصلوا إلى بوابة تونس، فقال أبو زيد اقرعي الباب. فنادى البواب: من يقرع أبواب تونس في هذا الليل؟ فقالت الجازية: نحن من بنات العرب جايين معنا بضائع لكي نبيع ونشتري من عندك على قدر احتياجنا. فقال لهم البواب: روحوا ما افتح لكم الباب في الليل. ثم إنها تدخلت على البواب فما فتح وإنما راح إلى عند الزناتي وأخبره بقصة البنات على الباب، فقال: روح، إياك تفتح لهن، لقد قرأت كتبهم قبل ما حضروا إلى هذه البلاد لأن هذه حيلة من حيل أبو* زيد بالتأكيد" [٧٠]

وتلح (الجازية) على البواب بالإغراء والإطراء، وينشأ بينهما حوار شعري شائق يتناوله الدارسون للسيرة الهلالية بالبحث والتعليق لما يحويه ذلك الحوار من جمال وطرافة.

يقول الدكتور (عبد الحميد يونس) معلقاً على تلك الحيلة الشهيرة: "وما أبرع السيرة في اصطناع الحيلة إلى جانب الشجاعة توهيناً لقوة العدو وتفريقاً لكلمته، وتسللاً إلى الداخل. ولم ير الوجدان الشعبي بأساً من أن يتنكر أبو زيد في زي امرأة مع العقائل والنساء من بنات هلال اللاتي تظاهرن بأنهن بائعات جائلات بالعطور والنفائس كغيرهن من البدويات. وأغلب الظن أن الشعر الذي ورد في هذا الموقف لم يكن مرسلاً بل كان حواراً غنائياً بين "الجازية" وبين القائم على حراسة الباب الكبير للمدينة الحصينة " [٧١]

ثم يورد الدكتور (عبد الحميد يونس) نص الحوار الشعري الغنائي الدائر بين الجازية وحارس مدينة تونس وهو حوار تمثيلي غنائي شائق " [٧٢] تلح فيه الجازية على الحارس كي يفتح لهن الباب وهي تغرية وتمنيه بجمال العذارى، لكن الحارس أصر على عدم فتح الباب خوفاً من عقاب الزناتي.

وفي دراسة أخرى للدكتور (عبد الحميد يونس) يطالعنا نص آخر يصور عزم الجازية على الاحتيال لدخول تونس، حيث يقول: "وقيل على لسان الجازية وهي تحتال لدخول تونس " :

تقول جزات الناس أخت أبو علي ... الأيام والدنيا علينا تدور
أروح إلى عند ابن درغام عامر ... وآخذ بنات كأنهن بدور
وندخل عليه بالكلام مع الحيل ... وننظر في من لهم ومقصور [٧٣]

أما الدكتور (فؤاد حسنين علي) فيشير إلى تلك الحيلة قائلاً: "من منا قد نسى قول الجازية وهي على أبواب تونس تحاول اقتحام أبوابها بحيلة أجمل من حيلة أصحاب حصن طروادة " ٧٤، ثم يعرض لحوار شعري طويل دار بين الجازية وحارس تونس [٧٥]

ويعود الدكتور (فؤاد حسنين علي) ليشير إلى تلك الحيلة في حديثه عن حيل أبي زيد الهلالي، يقول: " كما أنه كثيراً ما استخدم النساء للتسرب إلى داخل البلاد والقيام بأعمال السلب والنهب لإيقاع الذعر بين الأهلين والتمهيد لدخول الجيوش وكان تنفيذ هذه المهمة يوكل عادة للجازية التي كانت تقوم بها خير قيام" [٧٦]

أما (محمد فهمي عبد اللطيف) فيعلق على تلك الحيلة الشهيرة في حديثه عن أبي زيد الهلالي. حيث يقول : "وقد حاول هذا الرجل الداهية أن يمهد لسيوف قومه بالحيلة وقد هداه تفكيره إلى ابتداع حيلة طريفة كان هو بطلها. وكانت المرأة وسيلتها، إذ خرج سرب من العذارى الجميلات ومعهن عبد أسود لم يكن إلا أبو زيد الهلالي نفسه متنكراً، ثم قصدن إلى سور المدينة في موكب يموج بالفتنة والخلاعة، ومازلن يتصببن منصوراً القائم على الباب ويلتمسن منه التفرج على المدينة والطواف بأسواقها وغنين له أغنية مطلعها :

افتــح يــا مــنصور افتــح بــاب السور
افتــح للعــذارى والسمــر الــغضــارى

ففتن الرجل بجمالهن وخلب بإنشادهن. ففتح لهن. وبهذا تمكن عبدهن (أبو زيد) من الاطلاع على الأسوار الداخلية في المدينة واستطاع أن يتصل بأنصار الهلاليين وأن يتبين مواطن الضعف في استحكامات العدو وفي مقاومته ثم رجع إلى قومه بمعلومات نافعة مكنتهم فيما بعد من اقتحام السور وبسط نفوذهم على القيروان" [٧٧]. هكذا بدا اهتمام الدارسين للهلالية بالغاً بتلك الحيلة الشهيرة التي لا تكاد تخلو دراسة من ذكرها والتعليق عليها.

وحين ندقق النظر في مسألة اصطحاب النساء في الحيل السياسية. نستطيع أن نقف على السبب الذي دفع أبا زيد لاستخدام النساء في تنفيذ حيله السياسية بل وتنكره هو أيضاً في زي امرأة. ألا وهو استغلال جمال النساء ودلالهن في إغراء الخصم، رغم اعتراض بعض الباحثين على نجاح ذلك التنكر لذا نرى الدكتور (عبد الحميد يونس) يقول عن أبي زيد. "إذ ليس من المعقول أن يتنكر في زي رهبان الروم في قبرص مثلاً أو أن يتخذ – وهو الفارس الذي تغمره الرجولة – مظهر المرأة كما بدا بين جمع الجازية عند أبواب تونس " [٧٨]

وعلى أية حال.. فإن الرواة يؤكدون براعة أبي زيد في التنكر ودهن وجهه بالأصباغ. وقد أتقن التنكر إلى حد كبير بحيث لا نستبعد معه أن يتنكر في زي امرأة. وقد استغلت (الجازية) جمالها الفاتن في إغراء الملك اليهودي (شمعون) الذي استضافها والأيتام ثم عول على تسليمهم لدياب بن غانم لولا أن خطط وزيره المسلم لحيلة تنفذها الجازية كي يتخلصوا من ذلك الملك. وكان الوزير يعتمد في حيلته على جمال الجازية وإغرائها. فقد قال للأيتام:"ومالكم إلا أن ترسلوا له الجازية تدلع عليه. فهو واقع في هواها"[٧٩]

ويتفق الوزير مع (الجازية) على التحايل على ذلك الملك بإغرائه حتى يتمكنوا منه ويقتلوه. فقد قال للجازية: "قابعثي بأولاد أخيك إلى السلطان يقولون له نريد أن نزوجك عمتنا فيفرح بذلك.. لأنه وقع في هواك فمتى دخلت عليه يدخل شيبان عليه

ويذبحه ونسقط جميعاً على اليهود فنقتل الأكابر ونملك البلاد ونقيم حاكماً من أولاد أخيك وأنا أتزوج بك وتصير البلاد في يدنا " [٨٠]

وتنفذ الجازية تلك الحيلة وتنجح في إغراء الملك والتخلص منه. فاشتراك المرأة في الحيل السياسية كان سببه قدرة المرأة على إغراء الخصم بجمالها وفتنتها ومن ثم نجاح الحيلة.

وثمة قضية مهمة ترتبط بموقف المرأة السياسي من مجتمعها. ألا وهي قضية انتماء المرأة وولائها لقومها وقبيلتها.فقد عرضت السيرة الهلالية لنمطين مختلفين من النساء. فعرضت لنساء كان ولاؤهن لمجتمعهن كبيراً، وضحين بالكثير في سبيل نفع المجتمع. في حين عرضت الهلالية – على النقيض – لنساء خن مجتمعهن وأهليهن وكان ولاؤهن لأعداء قومهمن أكبر. وفيما يلي عرض لهذين النمطين المتباينين.

ولعل (الجازية) هي أبرز من اتصف بالولاء التام لقومها والتضحية في سبيل مجد عشيرتها. فقد أثر عنها أنها ضحت ببقائها إلى جوار ولديها محمد وعمر كي ترافق قومها في تغريبتهم. فقد احتاج القوم لها لما عرفت به من ذكاء وحسن تدبير للأمور. فأرسلوا في طلبها.

يقول الراوي:

بعتوا للجاز أربع مرا
قال ياعزك يخبروك
احضري يا ست الخلاخيل
ولاد عمك عازوك [٨١]

وتلبي الجازية نداء قومها. وترحل معهم لتشاركهم في تغريبتهم وحلمهم الكبير تاركة ولديها الوحيدين وزوجها الذي تحبه وقد ضرب بهما المثل في سمو العاطفة الزوجية. "فالجازية وهي الأم المثالية في تلك السيرة الشعبية وشكر الشريف زوجان يفصحان عن هذا الضرب من العاطفة الزوجية " [٨٢]

وبالطبع.. لم يكن فراق الزوج والأبناء أمراً هيناً على (الجازية). بل إنها تألمت كثيراً لفراق ابنيها حتى إنها قالت :

وفارقت أولادي بغير إرادتي وطاوعتك ما كان ذا بمرادي
وما فرقة الأولاد إلا مصيبة فما يدخل عيني قط سهاد [٨٣]

وقد رضيت (الجازية) – مضطرة – أن تفارق زوجها (شكر الشريف) – رغم حبها الكبير له – كما يؤكد ذلك الدكتور (أحمد شمس الدين الحجاجي) الذي يقول عن الجازية: "ولكنها كانت تتخلى عن أنوثتها وتتناسى عشقها للرجل وتترك كل ما يتصل بوجودها في سبيل القبيلة. فقد تركت زوجها الأمير شكر الذي تحبه لتصحب بني هلال في رحلة التغريبة " [٨٤]

ويعلق الدكتور (عبد الحميد يونس) على ولاء الجازية لقومها الذي فاق حبها لأسرتها، يقول: "وتلتقي الزوجية والأمومة في شخصها، فقد كانت تحب زوجها "شكر" صاحب مكة، ولا تعدل به رجلاً آخر ولو كان من قومها وكانت تبكي فراقه وفراق ولدها منه في آن واحد ولم يغلبها على هذه العاطفة التي تجذبها إلى أسرتها الخاصة إلا العاطفة القومية، العامة. ومن أجلها هجرت زوجها الذي تؤثر، وولدها الذي تحب، وفارقت خفض العيش معه إلى جفوة الحياة القاسية التي تقوم على النقلة والحرب. وتبدو هذه العاطفة القومية التي تكاد تنسيها ذاتها عندما عرضت نفسها، والهلالية في مصر، على أبي زيد

ليبني بها بدلاً من زوجته "عالية" التي عادت مغضبة إلى جزيرة العرب وذلك ترضية له وتشبثاً به حتى لا يفارق قومه وهم أحوج ما يكونون إليه. كما يبدو النضال بين العاطفتين المتنازعتين وهو الذي أوردته السيرة موضوعاً لا محللاً عندما نزل الهلالية بابن عمهم الماضي بن مقرب، فقد أراد أن يصهر إليهم في الجازية ووافق أهلوها على ذلك، ولكنها رفضت وفاء لزوجها حتى إذا جاءتها موافقته – وهو أمر شاذ ومصطنع – رضخت مكرهة وتشبثت بقومها كما تشبثوا بها فرافقتهم إلى غايتهم في تونس" [٨٥]

هكذا يعدد الدكتور (عبد الحميد يونس) بعض المواقف التي تكشف عن ولاء الجازية لقومها وتغليب العاطفة القومية على العاطفة الأسرية.

ولقد أشار الدكتور (يونس) إلى زواج الجازية من الماضي بن مقرب وهو الزواج الذي يسميه (شوقي عبد الحكيم) بـــ (الزواج السياسي) لما فيه من مصلحة القبيلة حيث يرافق الماضي الهلاليين في تغريبتهم ويؤازرهم في رحلتهم إلى الغرب.

ويعرض (شوقي عبد الحكيم) لموقف الجازية حين عزم أهلها على مواصلة التغريبة. يقول: "ولما صممت بنوهلال على الذهاب جعلت الجازية تبكي بدمع غزير لأنه لم يكن لها صبر ولا سلوان على فراقهم. فلما زاد عليها الحال أكثرت من النحيب والأعوال فانزعج الماضي وسمح لها بالذهاب معهم إلى الغرب ففرح بذلك الأمير حسن وحالاً أمر الفرسان بالركوب فركبت الفرسان وساروا قاصدين بلاد الغرب" [٨٦]. ولعل بكاء الجازية الشديد وانتحابها يعد أكبر دليل على حرصها على مرافقة قومها في تغريبتهم ويؤكد ولاءها لهم.

وفي دراسة أخرى يعلق الدكتور (عبد الحميد يونس) على موقف الجازية المشرف حيال قومها وولائها لمجتمعها، يقول (عن الجازية) إنهـــا: "انضمت إلى قومها، وكانت من الأسباب التي أعانت على بلوغ الغاية وإحراز النصر" [٨٧]

ويقول الدكتور(عبد الحميد يونس) عن دور الجازية في التغريبة : " وهنا تحرك الجمع كله بعد أن استدعوا الجازية أشهر سيدات بني هلال التي آثرت أن تترك زوجها وولدها وتنضم إلى قبيلتها وتعمل مع العقائل على شحذ الهمة وجمع الكلمة " [٨٨]

ثم يشيد الدكتور(عبد الحميد يونس) بالدور الذي أدته الجازية في الأحداث. يقول: "وحسبنا أن نذكر ان الجازية هي التي تجمع متفرقات هذه الملحمة وهي شريانها الأكبر. وهي رمز الوفاء للزوج والولد والعشيرة والموطن " [٨٩]

ومن مظاهر ولاء المرأة لقومها فخرها بقبيلتها واعتزازها بقوميتها. فقد كانت لدى (السفيرة عزيزة) جارية هلالية الأصل تدعى (مي). فلما سألتها (عزيزة) عن قومها. راحت تمتدح لها بني هلال: تقول :

والله أسيادي ماهنا مثل خيلهم لا في بلاد الشرق ولا في المغارب [٩٠]

فعلى الرغم من بعد (مي) عن موطنها الأصلي. فإنها بقيت على ولائها لقومها وظلت تمدحهم لسيدتها بأجمل الصفات.

وعلى الجانب الآخر نرى (سعدة) تفخر بقومها وتمتدحهم قائلة :

إحنا ملوك الغرب لا يد فوقنا إمارة بوادي خيرين كرام [٩١]

وتمتدح (سعدة) قومها في نص آخر تقول :

أرى زناتة مقبلين كأنهم أثمار تتمايل بها الأشجار
من كل فارس جيدي في ملتقى العدا تقول أنت سبع البر إذا ما سار

أيا حسنهم لما يميلوا ويركبوا وملبوسهم من غالي الأسعار
وملبوسهم من خاص الحرير الفرايد ولا يركبوا إلا على الأمهار
بسروج منقوشة الركابات من ذهب ولما يسيروا يشبهوا الأقمار
إذا ما ركب مطي الراكبين مطاوع ترتج له تونس من الأسوار [٩٢]

ومن مظاهر ولاء المرأة لقومها كذلك رفضها الرحيل عن وطنها بعدما لحقت به الهزيمة وإصرارها على البقاء ارتباطاً بوطنها وانتماءً له. كما حدث من (سعدة وعزيزة) اللتان رفضتا الرحيل عن تونس رغم هزيمة قومهما، يقول الراوي : " فهزمت بنو هلال بني حمير وفوتتهم الديار فعندها أخذت بني حمير حريم زناته إلا سعدة وعزيزة فما قدروا ينزلوهم من القصر" [٩٣]

وبشكل مغاير عرضت السيرة الهلالية لبعض المواقف التي بدت فيها المرأة غير وفية لقومها. بل إنها تخون قبيلتها وتوالي أعداءها لاسيما حين تقع في حب فتى من أعداء قومها فتتغلب لديها العاطفة الخاصة على العاطفة القومية، فتضحى بقومها وبأقرب الناس إليها في سبيل نصرة محبوبها.

وكما اعتبرت الهلالية (الجازية) رمزاً للوفاء للوطن والأهل والعشيرة. اعتبرت – على النقيض – (سعدا ابنة خليفة الزناتي) [٩٤] رمزاً لخيانة الوطن والأهل. بل وأبيها أقرب الناس إليها!. فقد وقعت (سعدا) في حب (مرعي) الأسير لدى أبيها. وقد دفعها ذلك الحب إلى خيانة أبيها وقومها. فقد يسرت لبني هلال القضاء على أبيها حين أخبرتهم – وكانت عالمة بضرب الرمل – أنه لا يقتل الزناتي سوى (دياب بن غانم). فقد قيل : (لكل منية أسباب ومنية الزناتي بيد دياب). فحين رأت (سعدا) الهلاليين قد تحيروا في قتل أبيها تسللت ليلاً إلى معسكرهم وأخبرت حسن الهلالي بأن موت أبيها يكون بيد دياب. فأرسل حسن لدياب يستدعيه من البوش (مؤخرة الجيش). ولما حضر وبارز الزناتي تمكن من قتله وزال بذلك ملك الزناتي ودانت الغرب للهلاليين. وكانت سعدا تدبر كل هذا وهي تظن أن الأمور ستسير وفق ما أرادت وخططت بأن تتزوج من محبوبها (مرعي) وتجلس إلى جواره على عرش تونس ولكن خاب ظنها وجرت الرياح بعكس ما تشتهي السفن حين استولى دياب على عرش تونس وعذبها حتى تقبله زوجاً لها ولما أبت قتلها. ودفعت بذلك سعدا ثمن خيانتها لقومها (غالياً).

ويحكي لنا الراوي تلك القصة الشهيرة قائلاً : " قال مرعي لسعدا : إلى متى نحن هنا، لقد طال علينا المطال وأبوك لا يفتح الباب لأبي زيد... ولا يطلع لمحاربته... فضحكت سعدا وقالت: مستعدة لتسوية هذه المشكلة، ولتعلم أن الذي يقتل أبي هو الأمير دياب لا أحد غيره – هذا ما تقوله الكتب – ولكني سأذهب الليلة لزيارة والدك وسأدعوه لطلب الأمير دياب، وعندئذ ينتهي الإشكال " [٩٥]

وبالفعل تتسلل (سعدا) ليلاً إلى معكسر بني هلال وتخبر حسن الهلالي بأن الذي سوف يقتل أباها هو دياب بن غانم لا غيره وقالت للأمير حسن " أرسلوا خلف دياب تنتهي المشكلة " [٩٦]. وهكذا اعتبرت (سعدا) بقاء أبيها حياً (مشكلة) عملت على تسويتها بالخيانة. ولم تكتف سعدا بما فعلت بل راحت – على الجانب الآخر – تشجع أباها على منازلة دياب – رغم خوفه وقلقه من هذا النزال. يقول الراوي : " فطلع الزناتي إلى قصره وقد أيقن بزوال عمره... فنام على فراشه وهو غارق في أفكاره، يحلم بالمعركة ويخاف من نتائجها وابنته سعدا تشجعه على خوضها " [٩٧]

وبالطبع.. لم تكن (سعدا) تشجع أباها على خوض تلك المعركة كي ينتصر. ولكن لتعجل من موته وتنتهي المشكلة – على حد قولها –.

ويشعر الزناتي بقرب نهايته ومازالت (سعدا) تحثه على القتال وتطمئنه وهي تعلم ما سيحدث له، يقول الراوي : " لقد أخذ الوهم يصور له أن موته قريب وأنه مفقود لا محالة في حربه مع الأمير دياب وكانت سعدا ابنته في الوقت نفسه تشجعه على محاربة دياب بعد أن ضربت الرمل وعرفت أن موتة أبيها أصبحت قريبة.. وفي المرة الأخيرة حاولت تطمينه وتشجيعه وقالت له : سوف تقتله فلا تقلق واذهب إليه " [٩٨]

هكذا.. تعمدت (سعدا) أن تلقي بأبيها في التهكلة. بل وأصرت على تحقيق ذلك ولم تتردد لحظة واحدة. فما زالت به تحثه على القتال وتطمئنه حتى نازل دياباً وقتل.

وثمة نص يدل على حرص (سعدة) على طمأنة أبيها وتشجيعه على نزال دياب – رغم خوفه وقلقه من ملاقاته في النزال – ويعرض ذلك النص لحوار دائر بين سعدا وأبيها. يقول الراوي :

يـــا ســـعدة قلبـــي مـــن العبـــد خـــايف
شـــوفي عيونـــه لنظـــر الرجـــال كبـــار
قالت: يا أبـــي هـــذا كـــان بصـــاص فـــي بـــلاده
مـــن كتـــر وقيـــد النـــار عيونـــه كبـــار
قـــال: يـــا ســـعدة قلبـــي مـــن العبـــد خـــايف
شـــوفي كفوفـــه لقضـــب الرمـــاح كبـــار
قالت: يـــا أبـــي هـــذا كـــان خبـــاز فـــي بـــلاده
مـــن كتـــر رق الخبـــز كفوفـــه كبـــار
قـــال: يـــا ســـعدة قلبـــي مـــن العبـــد خـــايف
شـــوفي كعابـــه للكـــز الجـــواد كبـــار
قالت يـــا أبـــي هـــذا كـــان ســـاعي فـــي بـــلاده
مـــن كتـــر المشـــي رجليـــه كبـــار [٩٩]

وعلى الرغم من سذاجة ذلك الحوار فإنه يؤكد حرص (سعدة) على بث الطمأنينة في قلب أبيها. فهي تسد كل منافذ الخوف لديه لتحثه على خوض القتال

وفي نص آخر.. تطالعنا أبيات يسوقها الراوي على لسان (سعدا) تطمئن فيها فرسان الهلالية بأنها معهم ضد أبيها. وأنها ستكفيهم شره وظلمه وطغيانه!

يقول الراوي:

وقالت كلوا لا تحملوا الهـم تغلبـوا ستلقوا منـا الخيـر يـا أخيـار
عليكم أمـان الله أنـا لـم أخـونكم ما أنتم عندي إلا أعظـم الخطـار
ولا تحملـوا هـم الزنـاتي خليفـة لأنه شقي طاغي لئـيم غيـار [١٠٠]

وبالفعل يتحقق لـ (سعدة) ما أرادت. ويقتل أبوها بيد دياب.

ونتعجب حين نعلم أن (سعدة) قد هشت لموت أبيها وسرت! وكأنها لا تشعر حياله بذرة من حب تجعلها تندم على ما فعلت أو على الأقل لا تسعد بموت أبيها. يقول الراوي: "سرت سعدة بقتل أبيها ولبست أفخر ثياب وسارت تتبختر كأنها العروس "

[١٠١]، لكن فرحة (سعدة) لم تدم فقد خاب ظنها حين اعتلى دياب عرش تونس ومنع منه حسن الهلالي وابنه مرعي فتحطمت آمال سعدة وندمت حيث لا ينفع الندم، يقول الراوي :" فلما سمعت سعدا بجلوس دياب على كرسي أبيها خافت وارتعدت فرائصها وخاب ظنها بمرعي وندمت حيث لا ينفعها الندم " [١٠٢]

ولم يقف عقاب (سعدة) عند حد الندم. لكنها نالت من دياب أشد عقاب وقد أذاقها صنوف العذاب إلى أن قتلها جزاء خيانتها لأبيها وقومها. وقال فيها قولته المشهورة : " المرأة التي تخون أباها لا يكون فيها خير لأحد " [١٠٣] أو "التي تخون أبوها لا يكون فيها خير لأحد" [١٠٤]

هكذا رأينا التباين واضحاً بين موقف (الجازية) من قومها وقبيلتها. وموقف (سعدة) من أبيها وعشيرتها. فـ (الجازية) أعطت ولاءها كاملاً لوطنها وقومها وضحت بالبقاء مع زوجها وولديها من أجل مرافقة قومها في رحلتهم، وحلمهم بالوطن الجديد، بعدما أمحلت أرضهم ودهمها الجدب. أما (سعدة) فقد خانت أباها وتسببت في قتله وزوال ملكه. من أجل نصرة محبوبها وقومه.

وقد شرع بعض الباحثين في عقد مقارنة بين المرأتين وولائهما لقوميهما فهذا الدكتور (عبد الحميد يونس) يقول: "وتزاوج هذين العنصرين الغنائيين الأساسيين الغرامي والحربي أو الحب والبطولة هو الذي تكونت فيه سيرة بني هلال في صورتها الأخيرة. وقد بلغ هذا التزاوج أوجه في الديوان الخاص بالجازية الذي يقوم على إيثار الحب القومي العام على الحب الخاص وفي المواضع التي تظهر فيها سعدى ابنة خليفة الزناتي صاحب تونس في الريادة والتغريبة على السواء حيث تغلب الحب الخاص على الحب القومي العام فتعين العدو على الظفر بأبيها وبلادها " [١٠٥]

ثم يعود فيقول – في موضعٍ تالٍ – متحدثاً عن (سعدى) وصنيع المصريين القصاص في شخصيتها يقول : " ولكنهم جعلوها مباينة من بعض الوجوه العامة للجازية، فسعدى على نقيضها تطيع عاطفتها الخاصة وتعصي عاطفتها القومية. وتدور حياتها كلها على خصلتين متداخلتين، هما الحب والحيلة التي تبلغ درجة الكيد، فما أن شغفت بمرعي حتى دفعها ذلك إلى القيام بكل عمل. والاستهانة بكل عرف. فاستغلت مكانها عند أبيها حتى دفعته إلى تعديل حكمه بالإعدام على أبي زيد ورفقائه الثلاثة باعتبارهم جواسيس، إلى السجن المؤبد، ثم استغلته ثانية حتى أفرج عن أبي زيد، وهي تعلم مقامه وإن ادعت أنه عبد واتصلت بأعداء قومها الهلالية ونفضت إليهم بما علمت من العرافين، من أن مصرع أبيها لن يكون إلا على يد دياب بن غانم وبصرتهم بنقط الضعف فيه، كما كانت تحث أباها على منازلة دياب، وهو يعلم أن مصرعه على يده " [١٠٦]

وكذلك يقارن الأستاذ (محمد فهمي عبد اللطيف) بين الجازية وسعدى قائلاً: "ولن نستطيع أن نقابل بين وضع سعدى ووضع الجازية في القصة إلا في الامتياز بالجمال والجاه ورفعة المكانة ثم تختلف الصورتان بعد ذلك كل الاختلاف فالجازية... كانت امرأة لها رأي راجح ومشورة نافعة وكانت تشارك في شئون الحرب والسياسة والتدبير وتحمل من ذلك عبئاً ثقيلاً مثل ما يحمل الرجال ثم كانت دائماً في موقف الغيرة على قومها ونصرتهم حتى لقد ضحت بحبها لزوجها الأول في سبيل معونتهم والرحيل معهم إلى الغرب وعلى العكس من هذا كله كانت سعدى " [١٠٧]

هكذا استبعد (محمد فهمي عبد اللطيف) أن تتصف (سعدى) بالصفات النبيلة التي اتصفت بها (الجازية).ثم يشير إلى خيانة سعدى لأبيها، يقول: "استطاع دياب أن يصرع خصمه بخيانة سعدى بنت الزناتي لأبيها " [١٠٨]

ثم يعود فيبرز أثر الحب في تحريك (سعدى) يقول: " وكان الحب يستبد بعواطفها ويسلبها إرادتها حتى حملها على ركوب المركب الخشن فاتصلت بالهلاليين ودلتهم على مواقع الضعف في والدها وفضحت لهم أسراره الحربية وأنبأتهم بأن مصرعه لا يكون إلا على يد دياب بن غانم كما أخبره بذلك العرافون فكان هذا مما يساعد الهلاليين على إدراك غرضهم من الزناتي وظفرهم به وبملكه " [١٠٩]

ويتساءل (محمد فهمي عبد اللطيف) قائلاً: " ترى هل تكون عواطف الوفاء للحبيب أقوى من الوفاء للوالد؟ وهل يهم المرأة الظفر في الحب أكثر مما يهمها الظفر في الحرب؟" [١١٠]

وقد شغلت خيانة سعدى لأبيها وقومها حيزاً كبيراً من اهتمام الباحثين، ودارسي السيرة الهلالية. فقد أورد الدكتور (عبد الحميد يونس) عدة تعليقات حول تلك الواقعة المهمة من وقائع السيرة. فحول الصراع بين الحب العاطفي والحب القومي وتنازع الاثنين لسعدى. يقول الدكتور (عبد الحميد يونس): "وقعت سعدى ابنة خليفة الزناتي في حب أحد هؤلاء الفتيان الثلاثة واحتدم في داخلها صراع بين الحب من جهة والواجب من جهة أخرى... بين العاطفة وبين العقل وانتهى بها الأمر أن أصبحت عوناً لبني هلال " [١١١]

ويقول – في دراسة أخرى– : " سعدى ابنة صاحب تونس التي دفعها اتصالها بمرعي إلى الحيلولة بين أبيها وبين إعدام أسراه الذين ثبت تجسسهم عليه وعلى بلاده والتي مهدت للهلالية فيما بعد للتغلب على أبيها ومملكته " [١١٢]

وحول خيانة (سعدة لأبيها) يقول (شوقي عبد الحكيم): "ثم تدور الدائرة على الزناتي فيقتل بفضل خطة وضعتها ابنته سعدة التي شغفت بمرعي عندما كان في سجن أبيها. فهي التي أشارت على الهلالية بإرسال دياب إلى أبيها ومنازلته لأن دياباً أقدر الفرسان على منازلة خليفة " [١١٣]

وحين نقارن بين موقف (سعدة) من قومها. وموقف (مرعي) من قومه نلحظ تناقضاً تامًا بين الموقفين. فمرعي كان يدين بالولاء والحب الأول لوطنه وأهله. وقد استغل حب (سعدة) له في استخدامها لمساعدة قومه ضد أبيها فها هو يتغنى أمام (سعدة) بوطنه ويمتدح أهله. يقول :

يا سعدة نجد العريضة مرية ربيت بها أهلي وكل جدودي
بلدي ولو جارت عليا مرية وأهلي ولو شحت عليا تجود [١١٤]

ولكن سعدة خانت بلادها ودانت بالولاء لبنى هلال من أجل حبها لمرعي، تقول لمرعي :

وحق الله ما أخون عهدكم ولو قطعونى بالسيوف بنار [١١٥]

ويشير (شوقي عبد الحكيم) إلى محاولة مرعي للضغط على (سعدة) كي تتصل بقومه لتخلصه من الأسر: يقــول : "حتى إن مرعي ضغط على حبيبته سعدي وحملها على الاتصال بنفسها بالهلالية وإبلاغهم بأهمية التغيير في خططهم الحربية.. وإعادة مصالحة دياب بن غانم ودفعه إلى المقدمة " [١١٦]

فالحب كان نقطة ضعف (سعدة) التي استغلها (مرعي) وعزف على أوتارها حتى أتمت له ما أراد، وها هي (سعدة) تعترف بخيانتها لأبيها تقول مخاطبة حسن الهلالي :

فأنا ملكتكم بأرض تونس وخنت أبوي ذاك مات وراح [١١٧]

أما (أحمد رشدي صالح) فيعلق على موقف (سعدى) من أبيها قائلاً: "حب شرير، يقع بين سعدى ابنه خليفة ومرعي شقيق السلطان حسن بن سرحان وعدو أبيها

وكيف أن هذا الحب جعل سعدى تتخلى عن أبيها وتغرر به وتشجعه على إطلاق سراح مرعي ويحيى وأبي زيد وهي تعلم أنهم سيأتون – بعد قليل– بجيش جرار يهزم جيش أبيها " [١١٨]

و لـــ (أحمد رشدي صالح) رأي في العقاب الذي لحق بسعدى. ومفاد ذلك الرأي أن العقاب الذي لحق بسعدى ليس جزاءً مباشراً لخيانتها لأبيها لكنه رد فعل طبيعي لهزيمة قومها. وكان سيحدث لها حتى وإن لم تخن قومها. يقـــول: " في هذه السيرة لم ينزل الشاعر الجزاء المباشر بسعدى لكن مصيرها الأخير ووقوعها أسيرة في يد دياب وإذلالها. كل ذلك يرتبط بهزيمة أهلها، لكنه يرتبط على نحو ما بتخليها عن أبيها في سبيل حبها " [١١٩]

ويعـــول (باسم عبد الحميد حمودي) سبب ما فعلته (سعدى) بأبيها على (مرعي) يقـــول: "ومرعي هذا سبب انكسار الزناتي خليفة فيما بعد نتيجة عشق ابنته سعدى لهذا الشاب مما جعلها تفتح أبواب تونس للهلالية " [١٢٠]

هذا.. ومن الباحثين من يشكك في حقيقة خيانة (سعدى) لأبيها وقومها مستنداً إلى بعض النصوص المتواترة في صعيد مصر والتي تجعل من (سعدى) ابنة وفية لأبيها! يقول الدكتور (أحمد شمس الدين الحجاجي): "اختلف موقف رواة السيرة من سعدى ففي الدلتا تبدو خائنة لأبيها فقد أحبت مرعي وتسببت في حضور الهلالية إلى تونس وهذا ما يتفق مع ما تذكره مدونات السيرة المطبوعة في التغريبة وفي الدرة البهية وفي السيرة الحجازية. وأما الراوي الشعبي في الصعيد فيجعل منها الابنة الوفية لأبيها التي كانت قريبة منه طوال مدة صراعه مع الهلالية " [١٢١]

أما (محمد فهمي عبد اللطيف) فيشكك في كل ما قيل عن (سعدى) يقول: "فهناك إذن أصل تاريخي تقوم عليه قصة هذه البطلة، وقد استغل القصاص هذا الأصل استغلالاً كبيراً وانتقلوا بزمانه ومكانه والوضع الحقيقي فيه إلى الوضع الذي أرادوه في ترتيب حوادث القصة والتشويق بغرائبها وطرائفها. حتى يمكن أن نقول إن كل ما تذكره القصة الهلالية عن سعدى بنت الزناتي وما ترويه عنها ليس إلا من اختراع القصاص وابتداع خيالهم. وأنه لخيال خصب موفق في رسم الصورة التي اختارها لهذه المرأة. بل في رسم الصورة المثالية لكل امرأة تواجه الحياة بغرائزها وتفرض ميولها وهواها على كل شيء في الوجود وتضعه فوق كل شأن من شئون الحياة والناس، مهما يكن شأن الحياة التي تواجهها وشأن الناس الذين يعترضون طريقها. فقصة سعدى كما يرويها القصاص، هي في الواقع قصة كل امرأة، ومثيلاتها كثيرات في التاريخ وفي الحياة الواقعية " [١٢٢]

ولا يعنينا مدى صحة ما نسب لسعدى من خيانة لقومها من كذبه. فلسنا بصدد تحقيق النصوص أو البحث التاريخي. لكننا إزاء نص أدبي شعبي نتتبع فيه حياة المرأة في مجتمعها وولاءها لذلك المجتمع من عدمه.

لكن الملاحظ هنا أن الراوي الشعبي كان حريصاً دائماً على الارتقاء بالهلاليات دون غيرهن!. فكما حرص الرواة على إبعاد تهمة هروب الفتيات مع محبوبيهن من الرجال عن الهلاليات. ونسبوها – دائماً – لغيرهن. كذلك حرصوا على درء تهمة خيانة المجتمع عن الهلاليات ونسبوها لغيرهن. فلا نكاد نجد في السيرة الهلالية كلها خبراً عن فتاة هلالية خانت قومها و دانت بالولاء لغيرهم. في الوقت الذي تطالعنا قصص خيانة غير الهلاليات لأقوامهن. مثل (سعدى) و(عجاجة) و(عدلا)، و(عالية) وغيرهن. وتلك كانت سجية الرواة دائماً لا ينسبون للهلاليات شيئاً ينتقص من قدرهن عند الجمهور الذي يقدر الهلاليين ويحبهم.

Abstract

The political role of woman in Al Helalya Biography

By Mohamed Mohamed Soliman

The Helalya biography presented the woman as on experienced politician and it presented it with the pest presentation and portrayal.

Where in field of politics woman participated in the political delegations and played on important role in political mediation and reform between litigants.

Also she had piercing and discreet opinion and tight political management and wise and perspicacious advice where Al Gazya and Sheha had two third of the advice.

And they had important opinion with risk in Battles and Heroes evaluation.

On the top of her political bearings where she seemed enraged sometime on defeatists and Laggards for fighting scolding them and threatening with woman going to Battle instead of them to Excite the Chivalry of men and move their manhood and mobilize their tenacity for fighting.

She had gone for scouting and spying operations for her people to know the strength and weaknesses of the enemy and sometime she was participating in political tricks and tricks of war.

The biography also discussed the nationalism of woman and her extent of affiliation for her people and its effect on her tribe fate

الهوامش :

١- سيرة بني هلال، دار الكتب الشعبية، بيروت، د. ت، ص٦

٢- المصدر السابق، ص٣٩

٣- انظر : مولد البطل في السيرة الشعبية، د. أحمد شمس الدين الحجاجي، العدد ٤٨٤ من سلسلة : كتاب الهلال، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩١م، ص١٦٠

٤- تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب، المكتبة الثقافية، بيروت ص٩١ وطبعة : مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت، ص٩٦

٥- الريادة البهية فيما جرى للأمير أبو زيد الهلالي، مكتبة الجمهورية العربية، الأزهر، مصر، المطبعة اليوسفية، د.ت، ص٢١

٦- التوسط : هكذا وردت في الأصل. وأحسب أنها خطأ مطبعي والمراد منها : التوسل

٧- تراث شعبي، شوقي عبد الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الثاني، ١٩٩٤م، ص٥١٣

٨- من أقاصيص بني هلال (رواية شفوية بالعربية الدارجة التونسية للسيرة الهلالية) جمعها : عبد الرحمن فيفة، قدم لها ونقلها إلى العربية الفصحى : الطاهر فيفة، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م، ص ١٣٩، ١٤١

٩- المصدر السابق، ص١٤١

١٠- السابق، ص١٤٣

١١- تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب، ط : المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت، ص١٩٤/ وط: مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت، ص٢٢٣

١٢- الدرة المنيفة في حرب وقتل الزناتي خليفة، مكتبة الجمهورية العربية، الأزهر، مصر، المطبعة اليوسفية، د.ت، ص ٣١

١٣- المصدر السابق، ص ٣٤

١٤- السابق، ٨٧، ٨٨

١٥- مولد البطل في السيرة الشعبية، د. أحمد شمس الدين الحجاجي، العدد ٤٨٤ من سلسلة : كتاب الهلال، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩١م، ص١٦٧

وانظر للمؤلف ذاته : (من مرويات الهلالية– مواليد أبي زيد الهلالي سلامة)، مجلة الفنون الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع (٢٩) أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، ١٩٨٩م، ص٦٣

١٦- تراث شعبى، شوقى عبد الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الثانى، ١٩٩٤م، ص ٤٥٠

١٧- تغريبة بني هلال، ورحيلهم إلى بلاد الغرب، ط مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت، ص٢٤، وط : المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت، ص٣٠

١٨- سيرة بني هلال، دار الكتب الشعبية، بيروت، د.ت، ص٢١٦، (أبو : الصواب فيها : أبي لكن الأخطاء النحوية من سمات الإبداع الشعبي.

١٩- (البوش أو الطرش): مؤخرة الجيش وفيها المؤن والأمتعة والنساء والأطفال والشيوخ. وكان (زيدان بن غانم) هو الموكل بحمايته ــ عادة – لكنهم لجأوا لدياب لازدياد هجمات زناته عليه.

٢٠- تراث شعبى، شوقى عبد الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الثانى، ١٩٩٤م، ص٤٦١

٢١- تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت، ص١٣٩-١٤٠

٢٢- تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب، المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت، ص١١٨

٢٣- الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، د. عبد الحميد يونس، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، ص١١٢

٢٤- الزناتي خليفة بطل المغارب والراوي الشعبي المصري، د. أحمد شمس الدين الحجاجي، مجلة الفنون الشعبية ع (٣٠-٣١)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م ص٧٩

٢٥- مولد البطل في السيرة الشعبية، د. أحمد شمس الدين الحجاجي، العدد ٤٨٤ من سلسلة : كتاب الهلال، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩١م، ص١٢٦

وانظر للمؤلف ذاته : ميلاد البطل في السيرة الشعبية العربية، مجلة الفنون الشعبية، ع (٣٢-٣٣)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ص٥٦

٢٦- من أقاصيص بني هلال، الطاهر فيفة، ص٦٩ (مرجع سابق)

٢٧- المرجع السابق، ص٦٩ أيضاً

٢٨- السابق، ص٤١

٢٩- تراث شعبى، شوقى عبد الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الثانى، ١٩٩٤م، ص٤٠١، ٤٠٢

٣٠- نصوص منشورة ضمن كتاب : أعمال الندوة العالمية الأولى للسيرة الهلالية، تونس، الحمامات، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٠م، ص١٤١

٣١- المرجع السابق، ص١٥١ (شور : رأي)

٣٢- الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، د. عبد الحميد يونس، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٥م، ص١٩٤

٣٣- أبو زيد الهلالي، محمد فهمي عبد اللطيف، العدد ٢٩ من سلسلة : مكتبة الدراسات الشعبية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الطبعة الثانية، أغسطس ١٩٩٨م، ص١٠٤

٣٤- ميلاد البطل في السيرة الشعبية العربية، د. أحمد شمس الدين الحجاجي، مجلة: الفنون الشعبية،ع (٣٢-٣٣) ص٥٧ (مرجع سابق)

٣٥- تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب، المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت، ص١٨٧

٣٦- المصدر السابق، ص٢٧

٣٧- تراث شعبى، شوقى عبد الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الثانى، ١٩٩٤م، ص٤١٩

٣٨- تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب، ط :المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت، ص١٢١ ــ وط: مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت، ص١٤٣

٣٩- تراث شعبى، شوقى عبد الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الثانى، ١٩٩٤م، ص٤٩٠

٤٠- المرجع السابق، ص٤٩٦

٤١- سيرة بني هلال، دار الكتب الشعبية، بيروت، د.ت، ص١٠

٤٢- المصدر السابق، ص١٨٠،١٧٩

٤٣- السابق، ص١٨٠

٤٤- تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب، ط (المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت، ص١٣٧) وط: (مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت، ص١٦٣)
٤٥- الدرة المنيفة في حرب وقتل الزناتي خليفة – مكتبة الجمهورية العربية- الأزهر، د.ت، ص٥٦
٤٦- المصدر السابق، ص ٦٦
٤٧- تراث شعبى، شوقى عبد الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الثانى، ١٩٩٤م، ص٥٠٨
٤٨- الشخصية المصرية (من خلال دراسة لبعض مظاهر الفولكلور المصري – دراسة نفسية تحليلية أنثروبولوجية)، د. فاطمة حسين المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، ص١٧١
٤٩- تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت، ص ٩٨
٥٠- تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب – مؤسسة المعارف – بيروت، د.ت، ص ١٧٧
وانظر أيضًا : (الدرة المنيفة في حرب وقتل الزناتي خليفة، مكتبة الجمهورية العربية، الأزهر، د.ت) ص ١١٣، ١١٤
٥١- الدرة المنيفة في حرب وقتل الزناتي خليفة، مكتبة الجمهورية العربية، الأزهر، د.ت، ص ١١٤، وانظر أيضاً : (تغريبة بنى هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب)، المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت، ص ١٥٢
٥٢- تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب، المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت، ص ١٥٢
٥٣- الدرة المنيفة في حرب وقتل الزناتي خليفة، مكتبة الجمهورية العربية، الأزهر، د.ت، ص ٥٦، ٥٧
٥٤- تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت، ص ١٣٨
٥٥- المصدر السابق، ط المكتبة الثقافية، د.ت، ص ١٨٧
٥٦- الدرة المنيفة في حرب وقتل الزناتي خليفة، مكتبة الجمهورية العربية، الأزهر، د.ت، ص ٩٦
٥٧- المصدر السابق، ص ٤٩، ٥٠
٥٨- السابق ص ٦٦
٥٩- المصدر نفسه، ص ١٠٣، ١٠٤
٦٠- نفسه، ص ١٠٣، ١٠٤
٦١- نفسه، ص ١٠٤
٦٢- نفسه، ص ١٠٤
٦٣- نفسه، ص ١٠٤
٦٤- نفسه، ص ١٢٨
٦٥- تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب ط :(مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت، ص ٢٢١) وكذلك: (ط : المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت، ص ١٩٣)
٦٦- تراث شعبي، شوقي عبد الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الثاني، ١٩٩٤م، ص ٤٣٩
٦٧- تغريبه بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب- ط: المكتبة الثقافية – بيروت، د.ت، ص ٩٩، و ط: مؤسسة المعارف – بيروت، د.ت، ص ١١٧
٦٨- تراث شعبى، شوقى عبد الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الثانى، ١٩٩٤م، ص ٤٠٩
٦٩- الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، د.عبد الحميد يونس، ص ١٦٧، ١٦٨ (مرجع سابق)
٧٠- تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب – ط: المكتبة الثقافية – بيروت، د.ت، ص ١٣٣، ١٣٤- و ط : (مؤسسة المعارف – بيروت، د.ت، ص ١٥٥، ١٥٦)
* كلمة (أبو) خطأ في هذا الموضع، والصواب (أبي) لكن الأخطاء النحوية من سمات الأدب الشعبي لذا تركت دون تصويب
٧١- دفاع عن الفولكلور، د.عبد الحميد يونس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م، ص ١٩٠. وأيضاً : سيرة بني هلال (دراسة) للمؤلف ذاته، سلسلة تراث الإنسانية، مكتبة الأسرة، ١٩٩٥م، ص٢٦
٧٢- راجع الحوار في : دفاع عن الفولكلور، د. عبد الحميد يونس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م، ص ١٩٦، ١٩٧، وكذلك في : الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي- د عبد الحميد يونس ص ١٤٧ (مرجع سابق)

٧٣- الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، د.عبد الحميد يونس، ص ١٣٩ (مرجع سابق)
٧٤- قصصنا الشعبي، د. فؤاد حسنين علي، العدد الأول من سلسلة : مكتبة الدراسات الشعبية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٦م، ص ٥٧
٧٥- انظر الحوار في المرجع السابق ص ٥٧، ٥٨، ٥٩
٧٦- المرجع نفسه، ص ٨١
٧٧- أبو زيد الهلالي، محمد فهمي عبد اللطيف، الهيئة العامة لقصور الثقافة، (مكتبة الدراسات الشعبية) العدد (٢٩)، ١٩٩٨م، ص ٤٩
٧٨- الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، د. عبد الحميد يونس، دار الكتب المصرية ص ١٨٨ (مرجع سابق)
٧٩- تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت، ص ٢١٩
٨٠- المصدر السابق ص٢١٩ / وط : المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت، ص ١٨٩
٨١- مولد البطل في السيرة الشعبية، د. أحمد شمس الدين الحجاجي ص ١٢٦ (مرجع سابق)
٨٢- مجتمعنا، د. عبد الحميد يونس، مهرجان القراءة للجميع، الأعمال الفكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٨م، ص ٦٦
٨٣- تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت، ص ١٣٢،١٣٣
٨٤- مولد البطل في السيرة الشعبية، د. أحمد شمس الدين الحجاجي ص ١٢٦ (مرجع سابق)، وانظر للمؤلف ذاته : ميلاد البطل في السيرة الشعبية العربية، مجلة الفنون الشعبية، ع (٣٢-٣٣)، ١٩٩٠م، ص ٥٦
٨٥- الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، د. عبد الحميد يونس ص ١٩٣، ١٩٤ (مرجع سابق)
٨٦- تراث شعبى، شوقى عبد الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الثانى، ١٩٩٤م، ص ٤٥٩، والنص موجود في: (تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب، المكتبة الثقافية، بيروت ص ١١٥
٨٧- دفاع عن الفولكلور، د.عبد الحميد يونس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م، ص ١٤٥
٨٨- المرجع السابق، ص ١٩٠، وانظر أيضاً : سيرة بني هلال (دراسة) للمؤلف ذاته، مهرجان القراءة للجميع، سلسلة : تراث الإنسانية الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م، ص ٢٥
٨٩- مجتمعنا، د. عبد الحميد يونس، مهرجان القراءة للجميع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ١٩٩٨م، ص ٢٥
٩٠- الريادة البهية فيما جرى للأمير أبو زيد الهلالي، مكتبة الجمهورية العربية، الأزهر، د.ت، ص ٩٩
٩١- المصدر السابق ص ١٥٦
٩٢- الدرة المنيفة في حرب وقتل الزناتي خليفة، مكتبة الجمهورية العربية، الأزهر، د.ت، ص ١٠٣
٩٣- المصدر السابق ص ١١٦
٩٤- ورد هذا الاسم في ثلاث صور : (سعدا و سعدة و سعدى) بحسب المصدر المنقول عنه. فهي في نص تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب ط: المكتبة الثقافية، بيروت. تذكر (سعدا) أما في النص المنشور في : أعمال الندوة العالمية للسيرة الهلالية – الدار التونسية للنشر. فتذكر (سعدة) ويتفق (شوقي عبد الحكيم) مع تسميتها (سعدة). أما د.عبد الحميد يونس، ود. محمد فهمي عبد اللطيف، وأحمد رشدي صالح، فيتفقون في تسميتها (سعدى). وقد آثر البحث أن يتماشى مع كل الصور لأن السيرة قصة فنية وليست حقائق تاريخية.
٩٥- تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب ط : المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت، ص١٣٤، ١٣٥، و ط : (مؤسسة المعارف – بيروت، د.ت ص ١٥٦ – ١٥٧)
٩٦- تراث شعبى، شوقى عبد الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الثانى، ١٩٩٤م، ص ٤٨٠
٩٧- تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب، المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت، ص ١٤٠
٩٨- المصدر السابق ص ١٤١ وكذلك (التغريبة. ط. مؤسسة المعارف – بيروت، د.ت، ص ١٦٧)، بصاص = أى الحداد الذى يلمع أوانى الحديد في النحاس. رق = ترقيق
٩٩- أعمال الندوة العالمية للسيرة الهلالية، الدار التونسية للنشر، المعهد القومي للآثار والفنون، النشرة الأولى ١٩٩٠م، ص ١١٩- ١٢٠
١٠٠- الدرة المنيفة في حرب وقتل الزناتي خليفة، مكتبة الجمهورية العربية، د.ت، ص ١٦٢

١٠١- تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب ط : المكتبة الثقافية – بيروت، د.ت، ص ١٤٢، وط: (مؤسسة المعارف) – بيروت، د.ت، ص ١٦٨، و : تراث شعبى، شوقى عبد الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الثانى، ١٩٩٤م، ٤٩٧

١٠٢- تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب، ط: المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت، ص ١٤٣ و ط: (مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت، ص ١٦٩)

١٠٣- المصدر السابق ط: مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت، ص ١٩٢

(أبوها) هكذا وردت في الأصل والأخطاء النحوية أمر شائع في نصوص السيرة وقد ورد صحيحاً في النص السابق له.

١٠٤- تراث شعبى، شوقى عبد الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الثانى، ١٩٩٤م، ص ٥٠٦

١٠٥- الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، د. عبد الحميد يونس، ص ١٥١ (مرجع سابق)

١٠٦- المرجع السابق، ص ١٩٥

١٠٧- أبو زيد الهلالي، محمد فهمى عبد اللطيف، ص ١٠٩(مرجع سابق)

١٠٨- المرجع السابق، ص ١٠٧

١٠٩- السابق، ص ١١٢

١١٠- المرجع نفسه، ص ١١٢

١١١- سيرة بني هلال (دراسة) د. عبد الحميد يونس، ص ٢٥ (مرجع سابق)، وانظر أيضاً : (دفاع عن الفولكلور) للمؤلف ذاته ص ١٨٩- ١٩٠(مرجع سابق)

١١٢- الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، د. عبد الحميد يونس ص ١٦٨(مرجع سابق)

١١٣- تراث شعبي، شوقي عبد الحكيم، المجلد الثاني،١٩٩٤م، ص ٤٠٤، وانظر أيضاً: (قصصنا الشعبي) د. فؤاد حسنين على ص ٨٢ (مرجع سابق)، وكذلك: (الشخصية المصرية من خلال دراسة لبعض مظاهر الفولكلور) د. فاطمة حسين المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م، ص ٣٠٠

١١٤- تراث شعبى، شوقى عبد الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الثانى، ١٩٩٤م، ص ٤٠٥، وانظر (قصصنا الشعبي) د. فؤاد حسنين علي، ص ٨٤ (مرجعان سابقان)

١١٥- تراث شعبى، شوقى عبد الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد الثانى، ١٩٩٤م، ص ٤١٩

١١٦- المرجع السابق، ص ٤٧٩

١١٧- السابق، ص ٥٠٣

١١٨- فنون الأدب الشعبي، أحمد رشدي صالح، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، ١٩٩٧م، ص ١١٥

١١٩- المرجع السابق، ص ١٦٥

١٢٠- شجرة الأنساب العامة لأبطال السيرة الهلالية الكبرى، باسم عبد الحميد حمودي، مجلة التراث الشعبي، العراق، ع (٣) صيف سنة ١٩٨٦م ص ١٥٨

١٢١- الزناتي خليفة بطل المغارب والراوي الشعبي المصري، د. أحمد شمس الدين الحجاجي، مجلة الفنون الشعبية ع (٣٠-٣١) يناير – يونيو ١٩٩٠م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٨٠

١٢٢- أبو زيد الهلالي، محمد فهمى عبد اللطيف، ص ١٠٨، ١٠٩ (مرجع سابق)